جسدٌ واحدٌ وألف حافّة

نصوص أدبية

جاكلين سلام

دار هماليل
HAMALEEL

نصوص أدبية

جسدٌ واحدٌ وألف حافّة

2016

خمسون قصيدة

خمسون قصيدة تجسّد فصول الأنثى في الحب والحرب وتحولات الجسد تجتمع في هذه المجموعة الشعرية الجديدة. تكتب الشاعرة المنفى من قلب المرأة المغتربة عن لغتها وبيتها الأول وعشقها الأخير. تهيم عشقاً وتنكسب غابات ورغبات. تنهل من نبع الحياة اسراراً وتكتب محابر روحها وشهواتها ألف ليلة على حافة المسافات والغياب. ألف حافة ولا تسقط عن شجرة الحياة. تمقت الحرب فتكتب اناشيد من الفرح القادم. بين معابر كندا وذاكرة الشارع السوري تؤسس مملكة الحلم. تلوذ بالقصيدة وتدعوكم إلى وليمتها الشعرية: جسد واحد وألف حافة.

جاكلين سلام
@jackleensalam
Jackleen Salam
jackleensalam@gmail.com

دار هماليل
HAMALEEL

9 789948 138211

جسدٌ واحدٌ وألفُ حافّة: جاكلين سلام
لوحة الغلاف: الفنان العالمي بيكاسو
إخراج: وائل عبدالمجيد

الطبعة الأولى 1437 هـ - 2016م
تدمك ISBN 978-9948-20-914-0
مقاس الكتاب: 13X19، عدد الصفحات (160 صفحة)
تمت الموافقة عليه من قبل المجلس الوطني للإعلام رقم: 2014/721

دار هماليل
للطباعة والنشر والتوزيع
HAMALEEL

ت: 4460777- 2-00971
صندوق البريد: 130777
البريد الالكتروني: publishing@hamaleel.ae
الموقع الالكتروني: www.hamaleel.ae

مؤسسة هماليل للإعلام

مؤسسة إعلامية تُعنى بالأدب والفكر والثقافة والموروث.

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة هماليل للإعلام

إن دار هماليل للطباعة والنشر تحترم آراء المؤلف وأفكاره وتشجعه على الإبداع والنشر، وكل الآراء الواردة في هذا الكتاب تخص المؤلف ولا تعبر بالضرورة عن المؤسسة .

إهداء:

إلى الحبّ، حيث يكون انتمائي

إلى الإنسان الأسمى، الآتي

تقسم المجموعة إلى فصول معنونة كالتالي:

فصل1– جسد وحيد على حافة الخمسين

فصل 2– المنفى ونهاية العالم

فصل 3 – فصول الأنثى الثانية

فصل 4– أمي – الحياة

الفصل الأول

جسد وحيد على حافة الخمسين

من أجل حبٍّ في الخمسين

في الخمسين سأحبكَ بألف مُهجةٍ
إذا عرفتَ كيف تعيد الغناء إلى ما تبقى من صوتي
نصف قرن وأنتَ مشرد في معابر الآخرين .
نصف قرن وأنا مشغولة بأسرار الحديقة وفصولها
جسدي شريكي والشاهد وردتي السرية، خليط الماء والنار .
والياسمين لا يزال يتسلق أصابعي ويجدل شعري
نصف قرن وعلى وجهينا يتراكم جمر الغياب
والهواء يزداد زرقة
مأخوذة مني بهذا العالم . أضعتُ معبراً . وجدت آخر
ولم تعد تشغلني أسباب السُّقوطِ عن كاهل شجرة الحب
على كتفي ألف ليلةٍ غفوتُ . وعلى كتف رجلٍ آخر–

استيقظت بقلب يعرج وعينين متورمتين
في الطريق إليك أخذتني الحياة. سلتي معبأة بأرواح مشردة وألواح
مكسورة وكائنات.
محطات الحب لم تدلّني على الموت. بيوت تقصّفت في الخواء
في الخمسين– أنا
شجرة خصبة وبرية
جسدي مطرز بخمسين نكهة ولوناً
بلغت ذروة الموت والحياة، ومن تلك الذروة عادت روحي تناديك
لتشاركني نبيذ مساء، قهوة الصباح وأعباء القلب اليومية
وما أطول فصل الغياب!
غيابٌ لم يثنِ روحي عن الصعود
ما زلت أبتكر نسخة مني أقرب إلى ذاتي. أمارس التمارين الرياضية
والتأمل، ليس من أجل أن أغريك فقط، بل لأشاركك حياة آتية تخلو من
عقد الكوليسترول، ارتفاع السكري، تقلبات ضغط الدم، تخثرات الدم
في الدماغ والقلب.

أعلّق تفاصيلك على خيالاتي وقبة الكون
متأهبة للاحتفاء بك
عروسك أنا
نقية مياه نبعي
هاك يدي. تعال. هنا جنتنا على الأرض. هذه ليست إيثاكا. لستُ
بينلوبي، ولا وقت لديَّ لأحيكَ سجادةً ملونة وأحجيات
نصف قرن من الوجد
وأنا
على وشك أن أحبك يا حبّ
حبيبي، لا تقف حائراً هكذا تنظر إلى جدول الأعمال والأوراق
المغروسة في حوض المحبرة. لا تخشَ هذه البروق المندلعة تحت جلدي
وفي عمق عينيَّ المولهتين بالمجهول منك.
حضورك يملؤني. وجودك ليس استكمالاً لما ينقصني. ليس إملاء
لفراغي. ولست عصا لشيخوخة الأيام
تعالَ حبيبي. أنشودة أصابعي على خارطة جسدك ستزهر جلناراً

شغف أصابعك سيطلق جسدي حراً

فأرقص

يرقص فستان المساء

خمسون عاماً سنرقص ويأخذنا الدمع

نشهق الحبّ

عرس القصيدة أنتَ.

والحب الذي به أمضي حتى نهايات العالم

أترنم: ليكن هناك حبّ

لتكن أنتَ الحبّ

ليكن قرباناً هذا الجسد

في الخمسين، سأحبّكَ

وأتصالح مع تجاعيدنا في السبعين أكثر

أنا المرأة الآن

أنثى الحياة الآتية.

دليل الهجرة

حين أهاجر من جديد

سأكتب رسالة وداع مؤثرة إلى السيد الرئيس وأوقعها باسمي الكامل

سأقتلع من أصابعي جذور الحنين وقافلة كلمات فيها حرف الحاء

سأتدرب على لفظ اسم جدي: هانّا بدلاً من حنّا

ولن أقدر على تحديد معنى الكلمات التالية: حرية. حلم. خراب.

خراء

سأنسى عمداً مفكرتي

سأتعلم تفكيك أحلامي من اليسار إلى اليمين،

وأرميها للكلاب

سأبصق على الثلج كل الكلمات التي تجمدت فوق لساني، تحت لساني،

في قلبي

خفيفة، لا مرئية، سأصبح

سأقول للقصاب وبائع السجائر إنني سأدفع الحساب بالدولار
سأشارك في حملات "تبرعوا لبناء وطن"
سأقف أمام السفارة في دمشق أربعين عاماً، أقرأ الإرشادات من وجوه
المهاجرين القدامى
سأحلق شعري الأسود "على الصفر"
ولن أضع نصائح أمي حلقة في أذني
سأنام في ثوبها تسعة أشهر، سنوات
وإن استيقظتُ.
سأذهب إلى مقبرة مار يعقوب في المالكية وألقي خطاباً حاسماً عن
قصيدة النثر العربية والخلاص
سأتماسك كالرجال ولن أبكي.
حين أهاجر ثانية
لن أعلّقَ مفاتيحَ البيتِ في رقبتي
لن آخذَ من أبي غصنَ زيتونٍ انتشله من الهيكل في "الجمعة الحزينة"
سأكفّ عن المشي إلى الخلف، في المنام

سأكتب دليل الهجرة إلى الذات
الوصايا التي لم يُعِرها المنفيّ اهتماماً
هو الذي اختبر الرحيل من بيت لحم. . . إلى بيت أبيه
ولن أنتظر الهجرة الأخرى.

دليل الغيمة

كأنّ الماء في صوتكَ يتدفق في العظام
ينساب إلى حافات الأبدية
كأنك غبْتَ دهراً
حين لم تبقَ على لساني كلمة خضراء
إلا اسمك أيها الحبّ !

*

أتدثّر بالغيوم
أحصي الثقوب فيها
إلى أن يغمرني ما تبقى منك
كأنّ الغيمة المثقوبة لا تمطر !

*

حين يرتمي نبعك في فم الأرض

تنتشي الزهرة على حافة العالم
خصلات الحلم تتدلى كعناقيد الشهوة على كتفِ المسافات
تتأرجح المحبرة في أتون الجسدين
يندمل جرح المرأة .
الغيمة ينساب من جسدها الحرّ بحر
ويصير ربيعكَ
دليل الغيمة .

دليل العودة

طير العزلة ينقر أرغفة الكلمات

لا معدته تمتلئ

ولا محيط الرغيف يتناقص

رحلوا جميعاً

لا عصافيرَ في الزرقةِ الآنَ

الشبابيكُ المفتوحة

جوازُ سفر لهجرة بلا دليل

لا عصافير تؤنس الأشجار

تنغرس في الدروب عيوني

وترتدّ

تقع على ريشة صفراء من جنح عصفور

وقعت حين العبور ما بين الداخل والخارج

لاغبار على العصافير

ودائما تجد آذاناً وأغصاناً وشركاء في الطيران

الآن، أرسم للبيوت

أجنحة بديلة

أعمّدها بكلمات

في مدار الجسد

لئلا تنغرز في شفتيّ

وحنجرة الكون

أبحثُ عن دليل في فنّ العودة

وأرى العجوز

الذي كان يسير إلى بيته

لا يزال يسير

لا يزال يحمل في الكيس غَذاء للقطة

يسحب جسده نحو البيت

يلهث في أذني

صوته ينعقد في حفرة ملتوية في وجهه

يعلك الكلمات المكدّسة فوق لسانه

ولا يبصقها

يعيش فرحاً بقطته

وليس من الصائب أن أقول للرجل ذي اللحية البيضاء، القميص الأخضر

إنّ فرحك ينبع من داخلك

القطة ليست إلا ذريعة

ليس من الحكمة أن أقول:

لا تشترِ موزاً أخضر

إلى هناك قد تطير الروح قبل أن تنضج

ودون أن نجد سبيلاً لمعرفة الشجرة أردتُ أن تكون شريكتي في الأرض

إنها تزهو ببرعم في قلبها

نهاياتها معلقة في الهواء

وفي قلبي لها جذر

وأنىَ للشجرة ن تشهق جمالاً .

وفي قعر الصيص دود !

لطخة ربيع، في قلبها أكثر من دودة

الشجرة على علم بالداء .

كذلك الجذر

وأنا الشاهدة على ما يجري على وجه الغيمة وظهرها

أنا الممسوسة بالفراشات المحترقة في دمي

المستأنسة بألف محبرة

وليلة

فرّ من حجرها الغريب

والأيائل التي لم تجد نبعاً على خارطة البيت المنسية في يدي

لا مأوى لديّ

ذاكرتي ترشح ما كان في البدء

أيامي رغيف في تنور العالم

يلتهمه الجوع لأنثى الأيام التالية

خلف نافذة البيت أطيل الوقوف

أحدّق في الأفق:

راجمة صواريخ مصوبةٌ نحو الغيمة

وامرأة عارية مستلقية على مقعد خشبي وسط غابة كثيفة

عليها يتلصص الذئب، الفيل، الأسد ، ومالك الحزين

وترقص على أكتافها الأشجار

على هامش المشهد ،

رجل أسمر، صدره عارٍ، وعلى محيط خصره قوس وسهام

يداعب مزماره النحاسي الملتوي كأفعى

بين شفتيه السميكتين يصحو اللحن

ويطوف بألف حافة في غابة الجسد .

دليل الفقد

هذه القصيدة ليست عنكَ

ليست عن الحنين

ليست عن المنفى

هذه القصيدة عن امرأة لا تستطيع أن تحتضن بين كفيها وجهَ أمِّها

هذه القصيدة عن امرأة لا تحزم حقائب ابنها قبل السفر

عند العودة تفكها .

هذه القصيدة عن امرأة لا تستطيع أمُّها أن تفكّ حروفَها

لا يستطيع ابنها أن يتهجّى كلماتِها

هذه القصيدة ليست عن اللغة الأم واللغة الأخرى

هذه القصيدة عن امرأة تستلقي في حضن الأريكة السوداء،

فيسقط عليها خيال طفلة تسير بين الحقول وفي يدها كتاب،

وللمرة الأولى ترى ثوباً خلعته الأفعى صيفاً بين الزروع

هذه القصيدة عن امرأة تضع تحت مخدتها القميص الذي أصبح حقل
حنطة حين سرحت فيه أصابعُك
ونجم سقط على الأرض حين قطفّتَ في السرّ أزراره
هذه القصيدة عن امرأة تتحايل على فيض المحبرة
ولا تقول أفتقدك
أفتقد أمي
أفتقد ابني
أفتقد لساني الأول
هذه المرأة لا تأخذك على محمل الجد حين تقول: لا قلب لي للحب بعد .
لقد ذهبتِ إلى آخر العالم، وماذا بعد !
الحرب قادمة
الحرب دائمة
أيتها القصيدة
لا شيء بعد هذه المرأة ليست أنا
ولا تبوح بكلمات عن جسد وحيد في المنفى .

أجمل العشاق الذين لا يعودون

قبّلني
قبل أن تذبُل الزهرة في حوض الجسد .
قبّلني بشغف ولا تقف هكذا حائراً في صمت يأخذك إلى الجحيم .
أشعل دمي يبروق الرغبة . لا تتهالك في أرض الصمت .
قبّلني بأصابعك المعجونة شهوة منذ بدء الخلق، منذ اتقاد الجمرة السرية .
ازرعْ أقماراً في جسدي بأصابعك التي نامت في شعر امرأة أخرى
وأخرى، سنوات ولم تحتفظ بأي أثر .
قبّلني بعينيك الممتلئتين ضجراً وعشيقات راحلات . دعني أصرخ: قم
يا حبّ من موتك . يا فرحاً، اغسل عن بيت الجسد خرائب العشق .
قبّلني بشفيتك العاجزتين عن البوح، بعينك التي ستختبر سر البرَد بعد
الجمر . وحين تحملني بين ذراعيك، دع أنفاسك تذب عتمة الشتاءات

المتعاقبة على طيني .

سأهطل حناناً عليك لأنك على وشك الوصول إلى قلب الحقل المحمل بثمار حلمت بها عيناك الممتلئتان جوعاً .

سأقبّلكَ حتى يهلّ الفجر من بين مساماتك والعطر من دمي .

وإذ يعزف الجسد سيمفونية الهيام على ليل الجسد ، بالله عليك دع هاتفك الجوال يخرس، لتذهب شبكة الهواتف إلى الجحيم . لا تقل هذا اتصال من زوجتي تشتكي من ابننا المراهق، هذه ابنتي تريد درساً في اللغة . دع إشكالاتك اليومية خارج لحظتي، كن معي وانسَ ساعة يدك . تباً . لا تقف مرتبكاً بسكرك والنظر . كن لي بكل نكباتك، مرة .

ثم ارحل إلى آخر العالم وسنلتقي في المدارات التالية، لأنك ستأتي بخلاصة أشجانكَ، بوحشتك كما لو أنك اليتيم الذي خذله العالم ونفرت من وجهه كل نساء الأرض .

أو دعك هكذا – كما أنت، حيث أنت . ودعني أطير فرحاً حين ألتقيك في محطة على قارعة العمر . دعني أطربك غبطةً، لا تقل إنّ العالم لم يعد يتسع . قل لنفسك ولهم هذه المرأة حبيبتك وما خُيّل لك .

أحببتك حتى الإعياء . لا لم أحبك . سأكرهك بصدق، ولن أكف عن العشق حين أرحل إلى آخر العالم .

يا نشيد الجسد الوحيد ، سأُشرع عليك عيون الكلام كي لا تذبل حدائق الكون أسى على عشاق أضناهم الحب الذي لا يحتمل العيش بلا خبز الجسد وماء الروح .

وقبل أن تقفل الباب الأخير قبّلني ولا تخشَ ما سيبقى من أثر . قبّلني بعينيك المعبأتين خسائر وقتلى، وتنكّر لأغنياتي التي لم تفتح أمامك أبواب السعادة الأبدية .

ولأنك ممتلئ بي لا تعرف كيف تنأى ولن أعرف كيف منك أشفى .

سنبقى أسطورة منكسرة . أنت تكتب في دفترك أوراقاً كئيبة عن نساء خرّبن حياتك . وأنا أكتب عن رجل أحبني ليلة، سبع ليالٍ، سبع سنوات وألف ليلة . ثم رحل .

وهو يقول: لن أحتضنك عند الوداع، لا تنظري في عيني ثانية !

بعيني احتضنتكَ حتى أخذتك الطريق، ولن أهيم حزناً في البراري متنكرة في قناع أسد أو أفعى .

وحيدة أو بصحبة لا أحد سأجوب البلاد خريفاً وشتاءاً . أسمعك تقول للريح إنّ كلماتي تعشّقت بدمك منذ البَدء، ثم أتاك صوتي حين لم يكن بيننا تفاحة وشجرة نأوي إلى ظلها . لقد كانت بيننا الكلمات مأدُبة، صارت خريفاً، صارت برقاً شقّ السماء الوحيدة المرفوعة فوقنا . لم يعد لروحينا مأوى، وليس لجسدينا أرض ملائمة تحتضن الرغبة الراعفة

في حوض القصيدة

وكل مواجد الجسد

اذهبْ إلى غير رجعة

أجملُ العشاق الذين لا يعودون .

قبّليني ولا تتركي أثراً

قبليني ولا تتركي أثراً . احضنيني بشغف ولا تدعي عطرك يتعشّقُ بجسدي

امسحي عنكِ حمرة الورد . شَعرُكِ اربطيه إلى الخلف

لا تهديني قصيدة، بطاقة عليها اسمك الكامل . لا تذكري اسمي في دفتر اليوميات . لا تعتبي إن كلّمتكِ بإيجاز

إن لم أقل كم أحبّكِ

افرحي، لقد أصبحت أباً لأطفال وشريكاً لامرأة لا تقاسمكِ قلبي

لا تقرعي بابي بمفاجآت سارة أو صاعقة

لا تنظري في عينيّ مباشرة حين أكون في ضيافة العالم .

دعي صدرك رحباً لاحتمالات الغياب

لا تضميني إلى قلبك ساعة الوداع . دمعتي لا تمسحيها بزهد أصابعك

انتظريني، أنا العاشقُ الذي لم يعدْك بشيء، أحبّكِ، ولا أريدُ السقوطَ في الحبّ. سأهجرك ولا بوصلة لروحي. هناك نساءً ينتظرن أن أقطف وردهنّ بحواسي. أن أحيك ربيعهن بأصابعي. وفي اللحظة الحرجة، أغادر بوقار، بحرقة ولوعة أغتسلُ منك ومنهن

في وحدتي يأخذني البكاء. أكتبُ أغنيةً إلى المجهولة التي ستحبني حتى الموت،

المرأة التي لا أعرفها بعد. أجمل النساء.

خبزٌ وجسد

على جسدي أقسّمُ خبز حريتي. أغمس عظامي في مياه الدهر وأكتب سرَّ انبثاق الماء من عظم.

تسألني امرأة عابرة: هل تفكرين يا حواء بالجنة والنار، هل يغضبكِ ما حصل بين حواء والأفعى؟

أستعجل السير في الجهة المعاكسة لمقامات الأنثى. أصعدُ برفقة روحي.

لستُ عربيةً، لست كنديةً، لست كاهنةً ولا مقدسةً أساطيري

بشهوة عاشقةٍ إلى قلب الحياة، أسير. عند حافة الليل ممتلئة بك، أسير.

كحلم خفيف

أسقطُ

وهذه القصيدة التي أقرؤها على مقعد حديدي مثبت في طرف شارع هو الأطول في العالم، تهمس بالسرّ في أذن عارف حائر.

أقلبُ الصفحة وأنصت إلى امرأة مجنونة، أعياها الوقوف. في حضنها

حقيبة مثقلة بالغبار . بصوت نزق تقول: قطارات المدينة لا تمرُّ من هنا .
الباصات لا جدولَ لرحلاتها . لا بدّ من الأقدام والأحذية قرناً آخر .
ترددها كلازمة، وتراوح في مكانها
تتشابك الطرقات ما بين أحذية العابرين والسماء . ليست الكواكب
وحدها تسبح في السماء . ليس لصورتك اكتمال . ليس لغيابك معنى
لم يبهرني ما كُتب في الأزمنة من سيَر .
لم يعد القلب يسقط من الحزن، ولا من الغضب .
أهاجر بعيداً، أقطف من أشجار الكون ثمار الأيام المعلقة . أحدّق
في خطوط ذاكرتي حيث تقيم امرأة تشتهي السير برفقة نهر، شجرة،
عندليب أو كلب . نظراتي تصطدم بجدائل رجل أسود طويل ضلّ
الطريق . جدائله طويلة خشنة كأنها لم تعرف لمسة أمٍّ أو عاشقة . أتمتم:
كيف يضلّ رجل ضخم الطريق إلى الحياة ؟ ! . لهذا الرجل وهذه الجدائل
المشعّثة، أقول يا إلهي مالي ولك ومدينة بلا أمجاد، ولماذا تعجّ صفحات
هذا الديوان بالحزن ؟ !
إلى بيتي الصغير في آخر العالم أحثُّ الخطى . الغيمات في السماء وتأخذ

أشكالاً سريعة التحول . ألمحك في الغيمة رقيقاً، حنوناً . ألوّح لك .
أتوقف أمام صندوق البريد على يسار المدخل في الحارة التي يسكنها
أكثر من رجل بجدائل مشعثة وأكثر من امرأة مثقلة بالخطايا منذ بدء
الكون . أجدُ فواتيرَ متراكمة أحشرها في حقيبتي المثقلة بحسابات ليس
لآدم فكرة عنها . . .
وفي ليلة عيد الحب أوزّع على المشردين الذين أعرفهم خرائط العودة إلى
البيت .
أقول لذاتي لا بد من الغناء أيتها المرأةُ التي تركت آدم وحيداً يأكلُ سلة
التفاح ويحدّث مخدته المحشوة بريش ناعم عن سيارته الجديدة . هذه
طرقاتُ بلا دليل وستذهب بنا إلى كل مكان سوى البيت .
حين يستيقظُ آدم من غفلته، يحدّث نفسه عن حسابه البنكي وممتلكاته
إلى أن يغفو في بيته الكبير المهجور .
يجدني في الحديقة أتسلق شجرة التين وأتمعن في أوراقها التي غطت عرينا
الأول . أجمع ثمار التين والحطب مؤونة لشتاء ما بعد النهاية .
على حافة الكون يقف الرجل الغريب، يجرّ جسده إلى خبز الحياة

ووردها .

كأنه في عمق الرغبة ينادي كي تستدل عليه كل أفاعي الأرض وتهمس له

بما عليه أن يفعل وأنثاه المسكونة في كل ضلع وعين .

صبح الجسدين

أكثرُ من زهرةٍ في حقلِ الجسد تموتُ كلَّ فصلٍ . تموتُ الزهرةُ في حوضِ الجسدِ وتنبعث .

أكثرُ من زهرةٍ لم تنبعث من ثلجها بعد . الكلماتُ كالقلوب التي لا يُستدلُّ عليها ، فتموت .

تأخرَ الحبُّ، ضلت المرأةُ الدربَ إلى شهواتِها . إلى صومعةِ الجسدِ . ليلهِ، قناديلهِ .

أكثرُ من امرأة في الجسد تنكمش . أشدُّ التباساً من قمرٍ تتدلى شظاياه في الماء .

المرايا المعبأة بك تبددُّ جمرَ الوجد .

دعواتِ الذين ضلوا السبيل إلى صبحِها ، ليلها ، كلماتها ، وإلى شعلة نارها .

تقفل ايزيسُ الليل بهدهدة العشق، وبكلمةٍ تفتح بوابةَ الصبح لطيور

الرغبات.

أتفنى امرأةٌ كانت في البدء، تحيا لوحدِتها !

صباحٌ آخرُ يتشقّقُ عطشاً . تفتح القلب على سيرة الندى . تلملم فيوض العشق . وتمضي مع ما تبقى من الفتنة اليانعة . كأنها موج يتأرجح في الصمت، يصعد نحو قبة المدى .

أنت، بفتات القلب ترعى قصائد الشوق . بأحلامك تحرسُها .

أنت لم تقل إنها مناكَ . هي لم تقل إنكَ المشتهى . فاحتل الخريف الأرض .

يا لهذه الحكمة !

لم تكن إيزيس معنيةً بما ليس حباً .

جمعت أشلاء الحبيب حتى ولج الربيعُ العالَمَ

في الشتاء ينتحب كيوبيدُ الحب

يكتبُ العشقَ

ويمحو يترنم الكون بنشيد الصبح الآتي .

مدارات الجسد

أنزعُ عن جسدي آخر الأقنعة وأحاورك بلغةٍ مكشوفة .

لا رياضَ للأطفال هنا ولا أمهات . لا بنوك ولا عملات منافسة . لا صحفَ ورقيةً ولا نشراتِ أخبارٍ عاجلةً عن الحرب والحب والضحايا .

هنا حافةُ العالمِ وعراءُ الأرواح لا يحتمل .

الحنين ألقيته في سلة الدهر . والناي في الهاوية .

أمامي العالم بأسره، شمس ومقصّات عشب لتصبح الحدائق متناسقة .

حديقتي خالية إلا من عشبة الخلاص وخلفي رزمة أخطاء في العشق .

في جيبي ممحاة وقصاصات لا بد من إعادة تدوينها .

على حافة الكون أخط مزامير العشق، لا أجيب على الهاتف والرسائل الإلكترونية والصوتية . أقول لنفسي: آن لك أن تتصرفي كما لو أنك في بيتك الأول . غادري الطائرة الأولى التي حملتكِ إلى هذا العالم مخلّفة وراءك العالم الذي كان أقلّ من جنةٍ وأقلّ من أسطورة .

يأخذني الفراغ الحليبي المصمت . وأقول: يصعب عليَّ العيشُ ما تبقى من الدهر هكذا على هامش العالم وفي قلب الجسد جمرة زرقاء . أتراها الرغبة الأخيرة أم الأبدية ؟ !

أنزع قلادات الشوق عن كتفيّ وأحثّ الخطى إلى قلبك المجهول . أنا الدليل إلى ذاتي التي فقدت وثيقة الميلاد والدليل إلى البيت الأول والحبّ الأخير . أنا الرغبات الموشومة على مدار الجسد . بينما أنت هناك على حافة عالم آخر تقطّب ما بين عينيك حين تقرأ هذه الكلمات . تتفقد رغباتك، سريرك، قلبك، ولا تعثر على أثري .

لا تعثر لكَ على أثر . لم تكن بيننا شجرة نصنع من ظلالها خيمة لجسدينا . ولم تكن هناك تفاحة واحدة ندحرجها إلى أسفل العالم كي نلقّن الوجود الدرس الأول في الجاذبية .

قناعُ الجسد

كي أخرجَ إلى العالم بقناع شرير لا بدَّ أن أكون برفقة الآخرين

لا أستطيع أن أكون شريرةً بمفردي . وبرفقة نفسي أعجز عن القيام بدور القديسة

وأبحث عن مسرح مناسب لقديسة ضلت وجودها في جسدي .

الفصل الثاني

المنفى ونهاية العالم

ضحكاتٌ وكراسيّ

هذه ضحكة ملتوية بلا صدى. قد يكون صاحبها مهزوماً، أو مصاباً بلوثة. قد يكون هندياً أحمر، هندياً آسيوياً، أو عربياً.

الضحكة القصيرة تتردد كل خمس دقائق.

هذه ضحكة قصيرة تخترق الجدار، تصطدم بسرير امرأة تحتمي بذاتها بعيداً عن التلفاز والراديو والهاتف.

رجلُ الضحكات الملتوية قد يجيد أكثرَ من لغة، قد يكون معطراً حليقَ الذقنِ، يلبسُ شورتاً أحمرَ وقميصاً أبيضَ نظيفاً. يأخذ جهاز التحكم في التلفاز معه إلى الحمّام وينام بصحبته. يتحكّم في العالم، ولا يعرف كيف يستيقظُ من كوابيسَ يمقتُ أسماء أبطالها.

مَن الذي صنع جدراناً تسمح لضحكات رجل غريبٍ بالطواف بسرير امرأةٍ تلبس ثوباً كحلياً يشفّ عن ثدييها النافرين من مشدات الصدر!

هذه الضحكات لا مستقبلَ لها. تقول المرأة الممددة على سرير أيامها.

لا يمكن لضحكةٍ مهما كانت أن تحافظ على مضمونها حين تصطدم بجدار . مهما تعقّد مسار الضحكة، لن تلتقي مع الرصاصة في شيء . وحده الرصاص يخترق الجدران ويبقى محافظاً على غايته– القتل .

هذه ضحكة لا تصيب الجسد في مقتل . للمرأة خبرة في الضحك . الضحك لغة عالمية .

الضحكات التي تعلق على الجدران تفقد بهجتها ، مثلَ الثياب . مثلَ ذاك الثوب الذي اشتريته في العيد . تراكم بين أزراره وجيوبه الغبار ، بانتظار رجلٍ لا تحدّه الجدران . رجل يخرج من الحرب محمّلاً جثثاً لم تدفن . وينتظر حرباً جديدة لن يضحك في ختامها .

هذه الضحكة لا تنمّ عن شكوى . تداعب أصابع قدمي امرأةٍ لا يعرف الرجلُ اسمها ، لغتها ، وموطنها الأول .

تمد المرأة يدها إلى دفترٍ بجوار سريرها وتكتب:

الاحتمال الأول: الرجل يضحك لأنه يسمع آخر الأخبار عن كرسي الرئاسة الخالي . ولأول مرةٍ يدرك الرجل أن الكرسي مِحنة سواء كان فارغاً أو محتلاً .

أيها الغد تحنّنْ على البلاد بإيقاعٍ يقبل القسمة بلا كسور .

الاحتمال الثاني: الرجل وجلاً يضحك . يسمع خطاب الرئيس الذي احتل الكرسي لنصف قرن ولم يأخذه إلى القبر . الكراسيُّ لا تذهب إلى القبور . الرؤساء لا يعرفون الطريق إلى الجنة . يضحك الرجل لأنه يسمع هتافات الجمهور–الضحية . الجمهور يصفق فيسيل من أصابعه المشققة دمٌ . عالم لا يعرف كيف يموت من الضحك ومن الحزن .

الاحتمال الثالث: الرجل يضحك لأن المعالج النفسي أوصاه بالضحك علاجاً . أن يضحك عشر مرات في اليوم ويكثر من فيتامين "سي" .

الرجل لا يرى خلف الجدار امرأةً مترعةً بالضحكات المؤجلة، وتكره الحروب الخاسرة والرابحة .

ما بين المرأة والرجل، جدار تتسرب من خلاله شهقات النشوة، نوبات الضحك والبكاء .

وحين تلتقي المرأة بالرجل على باب المصعد ، لا يتبادلان السلام .

عالمٌ ينتهي في ضوء شمعة

تنهمكين في الحديث عن نهاية العالم في ضوء شمعة كحلية وقت الظهيرة.

تشغلني خشخشة الكيس البلاستيكي وأنت تخرجين منه بعض ممتلكاتك.

تخرجين من الأكياسِ علبةَ سجائر. تقدمين لي سيجارةً رفيعةً معطّرةً بالنعناع وتقولين الحياة بلا طعم. أتناولها، ولا أكترثُ لأظافركِ المتسخة أو أطراف قميصكِ المهترئة.

أسألك: هل حاولتِ الإقامةَ في الجنان؟

تجيبين: أكره الإقامةَ في أي أرض. عدّتُ البارحة من لندن، أعيش في امريكا وكندا. أحبُّ إيطاليا، سأرحلُ إلى مصر، إلى زيمبابوي. ثم تطلقين ضحكةً مفاجئة. نعم زيمبابوي

أقول: ألا تفكرين في الانتحار؟

تجيبين: أكتبُ شعراً، أصنعُ سيراميك، أتابع أخبار الطقس. أحفظ قوانين البلاد كلها، قصائد الشعراء، والكتبَ المقدّسة.

تواصلين التعثر بكلماتك وأنا مأخوذة بأساورك الملونة والسلاسل على رقبتك، الخواتم الحمراء، قبعتك الصفراء، منديل عنقك الأخضر المشدود بإحكام حول عنقك المترهل.

أين تذهبين بالدخل الذي تحققه كتبك؟

يأخذكِ السعال، يحمرُّ وجهك، تختنقين بأنفاسك. أنظرُ إليك وأخشى أن تكون نهايتك أمام ناظري، ولا تزال السيجارة الرفيعة بين أصابعك.

لا أفعل شيئاً سوى التفكير في الكتابة عنك

ترفعين إلى شفتيك كأس النبيذ ملطّخاً بأحمر الشفاه

أقول في سري: كريهة آثار الشفاه على الكؤوس

يتحشرج صوتك وتقولين: لا تجزعي، حالتي ليست مُعدية

نادل المقهى يباغتكِ: قلتِ إن صديقكِ سيدفع ثمن النبيذ، متى؟

تجيبين: لقد شربتُ الكأس الأخيرة. سيأتي صديقي في المستقبل. كلهم يأتون في نهاية العالم.

بنظراتٍ متوسّلةٍ ونبرةٍ مختنقةٍ تقولين: سيأتي مخلّصي، أليس كذلك ؟ !

من جيبك تخرجين صورة عتيقة لرجل رأيته في الأيقونات، ملطّخة بأحمر الشفاه، تقبّلين الرسم مغمضة العينين، ثم تصرخين واقفة: أحبكَ، أموتُ فيك، أنتَ خلاصي .

تغمزين للنادل وتقهقهين: لو لم تكن ثيابكَ سوداء لاتخذتكَ عريساً إلى أن ينتهي العالم .

عندما ينتهي العالم

أنتم تقرعونَ الباب، وأنا أفتحُ لكم . تطلبون خمسَ دقائق لتحدثوني عن المستقبل . ابتهجُ .

تحملون كتاباً مقدساً وعلى الباب المواربِ نقفُ . تقولون: جئنا نبشركِ .

نهاية العالم قريبة، أتعلمين ؟

يأخذني عطر الشاب الأنيق المتكئ على بابي . أقول: أنا في انتظار هذه النهاية . وماذا عليّ أن أفعل الآن ؟

يقول الشاب الوسيم: أعطنا اسمك نضعه في قائمة الخلاص .

أعطيته اسم صديقة ذهبت إلى السماء، وتركتني على مقاعد الدراسة في الابتدائية .

تغادرون ويبقى العطر مرتبكاً على العتبة .

2

أنتم تقرعون الباب، وأنا من خلال العين السحرية أدقق في وجوهكم المنكّسة.

الرجل الملتحي الرصين يقول: أختنا الفاضلة، العالم سوف ينتهي، نريد أن نحدثَك عن الدين القويم.

على الباب الموارب نقفُ. مأخوذة بقبعاتكم البيضاء المشغولة بعناية الأمهات الحزينات.

أسألكم: هل سأنتظر نهاية العالم طويلاً؟

يقول الشاب الذي لم تنبت ذقنه كلها: خذي كتابنا مجاناً. لا يزال أمام الجهلة وقت للتوبة. الشاب الكئيب يقول بصوت متهدّج يقطر ورعاً: هذه الدنيا فانية. بينما عيناه تدوخان في ثنايا قميصي الأحمر الشفيف.

تغادرون وتبقى أصواتكم تصطكّ حول قبضة الباب.

3

لا أبوابَ للشواطئ، لا تقرعوا. لن يفتح الموج صدره. جزيرة الروح في انتظار لا أحد.

ثلاثة تظهرون. بلباقة تطلبون خمسَ دقائق لتحدثوني عن قديسكم الذي أعلن عن نفسه حديثاً.

شاب أزرقُ العينين، حليق الذقن والرأس يقول: اعطنا اسمك الكامل، بلدك، تاريخ ميلادك ورقم الهاتف، سنصلي لخلاصك.

أكتب على الرمل بأصابعي كلها، اسم الشجرة البرّية الهرمة التي تكورت في حضنها طفولتي.

أكتبُ بالعربية، بالإنجليزية، باللاتينية، وبالآرامية، لكنكم لا تقرؤون.

آخر تفاحة في سلتي ألقمتها في فم البحر وانصرفتُ ملوحة حتى نهايات المدى.

كما أحلامي أنتَ

كما أحلامي أنتَ–ينقصكَ المنطق، الوضوح، وشيء من الحكمة.
تبتلعك الهاوية ويأخذك الأمل في ومضة. قادر أن تكون سراب الأمكنة والأزمنة في آنٍ.
لا وجه واحداً لك أيها الحبيب. وبكَ أفكر كلما نفضت زهرةٌ تويجاتها ونامت عارية على حافة الأرض.
مساء الأحد، منتصف شهر نيسان، ذاك العام جلستُ على حافة السرير أفكّ رزمة أحلام التصقت بي
فوجدتُكَ منكفئاً على بعضك في أقصى الصمت ترتجف. جريحاً تنزف ولم أستطع أن أكون لك الضمادة.
منفياً ولم أستطع أن أتقاسم معك اغترابي. منبوذاً ولم أستطع أن أكون لك بيتاً. يتيماً ولم يرُقْ لك أن تناديني "يا ماما"، جائعاً كنت أيها الحبّ

وثدياي لا يدران حليباً. صوتك يتردد مكسوراً إلى القعر، لم يصبح لصوتي صدى. رأيتك حقاً. كنت أراك في كل حين، بأقنعةٍ لا أعرفها.
إلى أن انحسر ثوبُ الحلم عن الهاوية بيني وبيني، وها أنا الغريبةَ الوحيدة وسط أحلامي وخارجها. وها أنت توأم النقصان أيها الحبّ!

الموتُ أميٌّ لا يقرأ القصيدة

السيد الموت،

الليلة أهجسُ بكَ. وغداً عيد الشكر، ولا حاجة لجرس المنبه كي أستيقظ. زجاج البيت يلمع رغم العتمة.

لاغبار على رفوف المكتبة وشاشة التلفزيون. البيت أنيق، لن يربكني قدومك ضيفاً على غفلة.

لا بدّ أن تصل جائعاً. قد تنصرف إلى البراد، منشغلاً عن جسدي النّاضج.

الأدراج مليئة بخضار طازجة، بطيخ ودجاج. قد يروقكَ مذاق اللبن المخلوط بالكرز. ربما تلطّخ أصابعكَ بقالب الكعك المعجون بالجبنة الحلوة، الأطباق الخالية من الكوليسترول والشّحوم. قطر ميز العسل على الرّف الثاني، بجواره زجاجة نبيذ مّتق، وشوكولاته سوداء . . .

باب غرفة النوم مفتوح. الخزانة بلا أقفال. تصرّفْ كما لو أنّك في بيتك. وفيما أنت هناك أسترقُ النظر إليك، أراكَ. أراك تجرّب قمصاني، بيجامتي، وبنطال الجينز الجديد ؟ أحذيتي، وتختال أمام المرآة . انتبه، الحذاء ذو الكعب المسمار لن يريح أصابع قدميك في رحلتك الطويلة.

تفتح زجاجة عطر مختومة اشتريتها لحبيبي حين يصل ذات شتاء. لتذهب زجاجات العطر كلها إلى الجحيم. رائحة جسمه أطيب من كلّ العطور المحلية والمستوردة.

أراك تفرد شّراشفي البيضاء التي لم أنم فيها . تغفو أيها الموت السيد، وكأنكَ بلا سرير منذ الأزل.

هدير يلف أعماق القلب. أهي قصيدة تحاول النجاة من الموت ريثما أعيد النّظر في هذه الدنيا والتّالية. أكتب مساراً جديداً لحياة قد أمضيها برفقة زائر غريب، وأشد غرابة من مخيّلة شاعر حاز نوبل أو ما زال يحلم بها .

السيد الموت،

كأنك شاعر لا يعبأ بالجوائز التي حصدها، هل سأتعرف إليك اليوم

أكثر ؟ !

أتراكَ أشقر الشعر، أخضر أم أحمر العينين، محروق البشرة، على وجهك
خدوش قديمة وجديدة. أصابعكَ هشّة كأصابع الكتّاب الذين
يحصدون شهرة من الكتابة عن الحياة وعنكَ، إلى أن تقتطفهم على غفلة !
على الأرجح أنكَ أعمى أيها الموت، فقير في مهارات التواصل مع الآخرين،
معباً بالشكوك حول جنسكَ، هويتكَ
لا هوية لكَ. أميٌّ ولا تقرأ القصيدة.

السيد الموت،
أعرف أنك تقطف وردتي اللامرئية.
أضعُ نقطة في آخر السّطر. أطفىء الأضواء والكمبيوتر
لا أنتَ الآن هنا، ولا حبيبي !

تعالَ بنصف كأسكَ الفارغ

سأفرح غداً، بعد غد، بعد قليل
سأفرح قليلاً وبشدة، ما إن أزيح الفاصل بين معالم الريح وروحي
سأدعوك غداً، بعد غد. سأدعوك بصدق، بمجاملة.
ما إن تشلح للريح معطفك، قفازاتك، وقبعة العدم.
تعالَ بخفة ملائكة الحياة، بنزق موجة بين صخرتين. بدمعك المتكلس
بنصف كأسك الفارغ. ببقايا قلبك المريض وأوردته الضيقة. بكآبتك.
بقميصك الأزرق وأزهار الحب الذابلة بين شفتيك. ببياض شعرك وما
تبقى منه. تعالَ بوجهك الذي كان في البدء.
في المساء الأخير، ستأتي. ستجد امرأة لا تعرفها ؟ سأجد رجلاً
لا أعرفه. سننام ونحن ندير ظهرينا لبعضنا. في الصمت الحزين نحبّر
قاموساً جديداً في العشق.

سأفرح غداً، بعد غد، بعد لا شيء . ما إن تأتي . ما إن تذهب . ما إن
أكفّ عن فصل نبضك عن دمي .

امرأة غارقة في الوهم

هواجسي لم تكن عنك أيها الحبّ . إنها عن حلقة أذني التي ضاعت .
رقصاتها غمرت أذني ألف مرّة وأنا أرتجف كعشبة في الريح .
أضمّ الآن حلقة واحدة في كفي وأتمعّنُ في تصميم دوائرها وألوانها
ويشغلني مصير الحلقة المفقودة .
احتمالٌ أول: سقطت في حضنك فيما أنت تداعب شعري الذي نهبته
عيون العواصف .
احتمالٌ ثاني: سقطت في سيارتك فيما أنت تقبّل أذني .
احتمالٌ ثالث: قذفتها بعيداً حين كان المطر يضرب زجاج غرفتي التي
يحرسها قمر مكتمل وسبع نجوم متوهجة .
احتمالٌ رابع: أنت سرقتها قصد الاحتفاظ بها للذكرى مع خصلة من
شعري .
احتمالٌ خامس: رأتها أمك في بيتك فاحتفظت بها لتبحث عن حبيبة

ابنها المفقودة .

احتمالٌ سادس: وجدتها في جيب قميصك الأسود وأنت تتمشى ليلاً على شاطئ البحر فرميتها بنزق، وأنت تقول: تباً، النساء لا يغادرن بلا أثر .

احتمالٌ سابع: لم تكن بيننا حلقة ومفقودات .

مضى خريف آخر علينا وتراكمت طبقات الفقد . لم يعد للحقيقة وجه واحد . ولم تكن أنت يوماً بوجهك المعلن، ولم يكن في أذني حلقة تلك الليلة . لم تكن شعري طويلاً لتداعبه أصابعك التي ترتجف وأنت تمررها على دائرة الشفاه .

غريبين سنبقى يا غريب . لن نلتقي في الصيف ولن نلتقي في الشتاء الأخير ولن نلتقي على حافة القبر . ودع عنك الحديث عن الغياب الذي أحرقنا والشتاء الذي أحرق ربيعنا .

لا بأس، أحدهم سيقول إن الحلقة تعادل "خاتماً" وسيعتقد أنّ المرأة تبحث عن خاتم للزواج تضعه في إصبعها . ستكثر التأويلات للاستدلال على احتمالات الحبّ الذي سقط في البحر وابتلعته السمكة . سيقلّب

الموج صفحات الليل، ومن دوامة البحر سينبعث صياد ماهر في يده حلقة خرّبها الملح ولم تعد صالحة لأصابع السيدة التي امتلأت ذاكرتها بالمفقودات، وقلبها بالبحر .

كل مساء تزيح موجة عن وجه المجرة وترسم امرأة غارقة حتى أذنيها في الوهم .

العينُ الثالثة

تضع إصبعك بين عينيَّ وتقول: عينك الثالثة لا تزال مغلقة. لا يمكنك معرفتي.

أقول: عيني الثالثة في سقف الرأس وعبرها أقيس المعنى.

ترفع إصبعك عن العقدة ما بين عينيَّ وتلعقها. تحدق في وجهي كأنك تراني لأول مرة. ترشف ما تبقى في كأسك وتقول: لا تنسي أن تدوني ما أخبرتك به. يجب أن تكتبي: في الساعة العاشرة من مساء الأحد كان الثلج يغطي العالم وكان الغريب يقول: يجب أن نقرأ الأعداد فقط. إنها الحقيقة الوحيدة.

أقول: يجب أن أعرف ماذا وراء هذه الثلج والستائر وماهيتها ؟

تجيب: الستائر لا علاقة لها بما في رأس الشعراء. الستارة كما الغيب مبهمة. الأرقام هي المفتاح.

أحدق في عينيك الصغيرتين وأقول: ولماذا لا تكتب سيرة هذه الستائر بنفسك ؟

تجيب: ما زلت أقرأ الأرقام

وماذا تفعل بعد قراءة الأرقام ؟

أذهب إلى النوم. أسدل الستائر، أدعو إلى غرفتي أجمل حدائق الكون وأجمل النساء، وأترك لخيالي أن يفعل ما يشاء. أنا الرجل العارف.

تغمض عينيك وتصمت.

أضع إصبعي بين عينيك وأقول: متى ستراني ؟ !

الفصل الثالث

فصول الأنثى الثانية

امرأة على الحافة

هذه القصيدة عن امرأة يخونها كلّ الرجال الذين تحبهم .

امرأة لا تقع في الحب من أول نظرة ويشتهونها كلهم .

في أول لقاء جسدي بينها وبين عشيقها ، تسأله: ستخونني ؟ !

امرأة لا تكنّ احتراماً للنساء السمينات والرجال الخجولين

محنّكة وتبالغ في الرّقة والغنج وهي تقرأ خطباً متعالية في المؤتمرات .

على جدار غرفتها تكتب: فكر أحدهم وقال على المرأة أن تبقى هائمة

في العشق وأن تعتني بأظافر قدميها وكفيها .

هذه امرأة نحيفة، تعتني بلباسها وماكياجها ، بأسنانها وصبغة شعرها .

تفكّر في عملية جراحية لتكبير ثدييها .

نباتية، من أنصار الرفق بالحيوان، تكره النساء اللواتي يلبسن معاطف

الفرو والجلد الطبيعي .

تولي عناية خاصة لحمالة صدرها ورموشها المستعارة .

في حقيبتها قاموس، قلم، كتاب مقدس، مطهّر لليدين، حبوب منع الحمل،

أوراق ومضادات اكتئاب .

تؤمن بالحبّ الحرّ، تمارس الرقص للحفاظ على رشاقة جسدها . تقول

إن الرجل الذي يغمض عينيه أثناء المضاجعة خائن لا يحتمل أن يرى

الشريكة في نشوة .

هذه امرأة لا يعجبها لون عينيها . تقرض أظافرها بأسنانها . تهزّ قدميها

لا إرادياً . قلبها الجائع يهرب منها إلى الشارع ينتظر معجزة . تسألني:هل

تدخنين الماريجوانا ؟ هل تحبين العالم، هل أحببت أحداً يوماً ؟ لا تعبأ

بالإجابات . تتمتم: يا إلهي، متى سأنام بلا كوابيس !

الشياطين تعشعش في رأسها ، تقول أمّها إنها بخّرتها أكثر من مرّة وتنتظر

النتيجة .

يقول الصديق الصيني المؤمن بالوشم وبوذا : لقد هجرتها الأرواح الصالحة

منذ أن دقّت وشماً على ساعدها في نقطة تجمّع الطاقة وفوق منطقتها

السرية . أنت في خطر ، يقول لها وهو يخضّ كأس البيرة بين يديه، تطفح

الرغوة، تندلق على الطاولة، يلعقها وتغرق نظراته في أوج أنوثتها
تغمس إصبعها في رغوة البيرة، تلعقها وتقلّب شفتيها ، تقول: الواحد ليس واحداً في كل الفصول .
هذه امرأة طموحة ولم تنجز بعد كتابها التي سيغير العالم-كما تتظاهر .
تبكي، تتعرق، تلفحها موجات حزن وغضب متناوبة، أقلقُ عليها ، أقول: اجلسي على الأرض عارية القدمين، خذي نفساً عميقاً . أغمضي عينيك، اسمعي ما تقوله الريح للشجرة، الأمواج لخدود الصخر . اطردي من رأسك أول رجل خانك، وآخر رجل، وما بينهما .
تنظرُ إليَّ وتقول بحنق: أكره الرومانسية والنساء . أكره الألوان الزهرية، أكره اسمي والأمثال الشعبية .

كل يوم عطلة تزور صديقها الذي خانها مراراً . تحمل له السجائر، الجرائد ، الكباب، التبولة والخبز العربي . تغفو في حضنه، تضمّه إلى صدرها وتبكي كلما حان الوداع .
هذه امرأة تعتصم في شقتها الفاخرة سبع ليالٍ وسبع نهاراتٍ ولا تستطيع

أن تكتب تعريفاً واحداً للخيانة، وطريقة واحدة للوداع . تكتب عن الخلاص بشكّ وسخرية .
امرأة تمزّق بعصبية ما يقع تحت يديها من أوراق وتقول: سأخونه، ويشهد قلبي بأنني سأخونه الآن، الآن وليس غداً .

امرأة النور

هذه امرأة تترك جسدها مكشوفا للضوء المنسكب بخفر من ثريا مدلاة من سقف الليل. تنام برفقة الضوء الذي يحرسها ويطرد العتمة عن جسدها. تنام برفقة كآبين عن العيش الحر وعن السعادة.

هذه امرأة حامل بتوأم، أو هكذا تفكر كل مساء وهي تمسد بطنها الذي يستقطب الضوءَ، الشاهد الوحيد على جسدها حين صار توأماً للخصب، قريناً للنور.

في الليل تجتاز أرضاً بلا مصابيح. تمر بأطفال بلا آباء وأمهات. عشاق بلا مأوى. أنفاق بلا نهاية.

تعبر وذراعاها مضمومتان حول شرشف أبيض كما لو أنها تحتضن الخليقة.

يزداد الألم في أسفل بطنها. تعجز عن العبور خطوة أخرى، تفكّ الأغطية المبعثرة حولها. ضوء شديد يبهرها. لا تجد بين اللفافات وليداً. تجد

لفافات ورقية بلا نهاية، وأقلاماً.

تجلس المرأة في سريرها وتكتب في أعلى الصفحة: ابنة النور تكسر على حافة القبر كأس روحها المترع بالجوع والربيع الذي تخلّف عن المجيء.

فصل العشق

كنت حزينة لأن الله لم يوفّقني في العشق وفي العمل .

قررتُ العيش بلا هدف ودور .

انغمست في قراءة كتب عن امرأة وفّقها الله في العشق وفي العمل وأكثر .

لم أجد تصويراً مكتملاً عن امرأة لها قلب وعقل وذراعان صالحان لاحتضانك والعالم، وعاطلان عن ذلك في آن .

ظهيرة يوم الأحد ، صرتُ أميرة على عرش اغترابي، أكلتُ تفاحة وشرائح جبن أصفر . شربتُ ما تبقى من خمرة البارحة . بقيت أطراف روحي مشغولة بالحنين إلى دورٍ . قرأت قصصاً فكاهية لكاتب إنجليزي سافر إلى اليابان كي يتوقف عن التدخين .

وضعتُ ما تبقى من حكمة في تفسير انفعالاتي حيال أنغام الجاز والبلوز المنبعثة من جدار الجيران . اتخذتُ قراراً بالابتعاد عن الجدران الزرقاء .

قلتُ للروح: النساء العصريات أكثر حكمة من أن يؤطرن العمر في لعب

دور العشيقة والعاملة وسيدة البيت .

صعدت الباص الأحمر والأبيض المتجه إلى مركز المدينة . صادفتُ سائق الباص الذي يملك مزرعة خاصة وحصاناً أبيض، سألني وعيناه مركّزتان على مقود الباص: "ألا تحبين الرجل الرومانسي، سيدتي" ؟

قلت: اللعنة، لماذا لم تأتِ على حصانك أيها الفارس ؟ !

هزّ رأسه وقال: "سوف أفعلها في أقرب فرصة، أعدكِ" . قالها وهو يقود الباص وركابه القلائل إلى المحطة الأخيرة . هناك أمسك بيدي، أخذني إلى سيارته واتجه نحو المزرعة حيث يسكن حصانه . حين وصلنا دخل الحظيرة، ركب الحصان وأتى بعد أن استبدل ثياب العمل بلباس الكاوبوي، قبعة وحذاء من الجلد وصدرية بنيّة عليها حلقات فضية وسلاسل تتدلى من جيوبه الكثيرة . كنتُ مشغولة باحتضان غيتار مهمل في الزاوية .

بحركة استعراضية قفز الفارس عن ظهر حصانه، قرفص على ركبة واحدة، أخذ يدي اليمنى بين يديه، قبلها وأغمض عينيه وقال: "هل صدّقتِ الآن أنني رجل رومانسي، وسأجعلك أسعد امرأة في الكون" ؟

قلتُ: لا تسعدني هكذا دفعة واحدة، أمهلني قليلاً كي أزيح جسد الألم المتراكم داخلي قبل أن ينغّص الفرح الوارف بيني وبينك وحصان الحكايا .

صار هاجسي تدوين حكايات السعداء في الأرض . كمثل ذاك الرجل الذي استغلّ الوقت الضائع في المحطة ما بين تورنتو ومدينة مونتريال . أبدى إعجابه الصريح بحذائي . اختار حذائي من بين جميع الأحذية والعابرين والعابرات ليتغزّل بجماله . بقي لون حذائي المصنوع من جلد أرنب، رمادياً ، طريّ الملمس، وله رائحة جلدي الحيّ . حين وصلتُ إلى المكان الذي أقصده لإجراء مقابلة من أجل عمل مؤقت، أمسك الرجل السعيد بيدي اليمنى واحتضنها بين يديه، بقيت عيناه معلقتين بحذائي . في تلك اللحظة خلعت فردة حذائي وأعطيتها له . حملت الفردة الأخرى في يدي، ونزلتُ حافيةً أفركُ أصابع يدي اليمنى بجلد الحذاء كما لو أن المصباح السحري والعفريت في حوزتي .

صارت السعادة من نصيبي حين لم تعد العطالة عن العشق والعمل تؤرقني .

خرجت للتسكع مع رجل لا يحبّ قصائد النثر . تبادلنا الأنخاب ثم الأحاديث عن شقاء المهاجرين، فشل العشاق، ورداءة الطقس في كندا . رغم المواضيع الخالية من الرومانسية رأيته يحتضن كفي الأيسر بين راحتيه ويغمض عينيه . لم أعرف ماذا أفعل سوى أن أغمض عيني كأي امرأة آيلة إلى الذوبان– ولهاً . سمعته يردد على عجل وشجن، "عيناك غابتا نخيل ساعة السحر، وشرفتان راح ينأى عنهما القمر . . . عيناك وتبغي وكحولي والكأس العاشر . . ." . في تلك اللحظة وضع النادل الفاتورة أمامنا .

بمحاذاة عالم بألف حافة، حملت جسدي ومشيت بلا انقطاع .

دخلتُ حديقة، وجدتها مكتظة بنساء ممددات بلا حراك . امرأة واحدة كانت تمشي وترمي في حضن كل منهن دمية، وتأخذ لهن صوراً فوتوغرافية . لم تستيقظ امرأة منذ تلك الليلة . كنتُ شاهدة حزينة . أنا أيضاً لم أستطع الاستيقاظ رغم أنني صرختُ أكثر من مرة . كنت مذهولة من قوة صوتي البدائي وحرارة أنفاسك المعبأة بالنيكوتين تلفح وجهي وبيننا هذا الفراق اللامتناهي .

أقسمت في تلك الساعة أنني سأحدث كلّ امرأة أصادفها عن مزايا العيش بلا دور يذكر، عن زهرة وحيدة تنبت في مكبّ الزبالة كل ربيع وقلما يلتفت إليها العابرون، وعن تلك التي تطلع من شقوق الصخر في "إدوارد غاردين" وسط تورنتو وتموت محفوفة بتقدير السياح وكاميرات المتنزهين. سأحكي لها قصصاً عن امرأة لم يوفقها الله، لم يغدق ليلها وأطراف نهارها بالمسرات، خزانتها امتلأت أحذية عالية الكعوب يتغزل بها العابرون وهم على مقربة من الهاوية. امرأة هي النساء الغارقات في كلّ شيء، يلوحن لرجال بلا أحصنة، يملأن الكون شغفاً وأساطير يومية، يعضضن على شفاههن المكتنزات بقبلات مؤجلة فتسقط في الأرض قطرات زهرية ويطلع إثر كل خطوة قرد وشجرة موز.

مملكة الحلم

يصعب عليَّ التحدثُ بثقة حين يسلبني الحلم مفرداتي الشخصية واحتمال الوصول إلى الجوهر. يعيدني طفلة شابّة مراهقة مرة وأغلب الأحيان مشردة لا تعرف تاريخها ولا عمرها ولا اسم المكان الذي تحل عليه، تعبر به، تغرق في طلاسمه.

يقلقني أن أكتشف مرة بعد أخرى أنني وحيدة داخل حلمي وغريبة. ثمة آخرون غرباءُ أحلم بهم لكنهم يتصرفون كما لو أنهم أصحاب البيت، المدينة والوطن. أحياناً يتودودن إليَّ، أحياناً يأخذونني في طرقات مذهلة، وأغلب الأحيان يتكلمون بالإشارة ولا توجد بيننا أي لغة مشتركة.

الذاهبون في الحلم مثلي لا يحتاجون إلى اللغة. الحلم لغة خارج اللغة في مدينة خارج العالم. في مملكة الحلم بعضهم يقول أشياء بليدة لا معنى لها، أما الذين يجعلونني أضحك في الحلم، فهؤلاء أحبهم وأشتاق إليهم حين

أعود إلى سريري وأغطس بين شراشفه الحمراء الناعمة، في غرفة باردة معلقة في الطابق العلوي من هذه العمارة الضخمة الواقعة شرق تورنتو. المدهش أن لا أحد من هؤلاء الذين حلمت به، يأتي إلى مكان إقامتي الحالي. بل إنهم لا يبالون إن كان لي مكان في هذه الأرض. في الحقيقة لست مبالية إلى هذا الحد أو ذاك لكنني أمتقع حزناً حين أتذكر ذلك الغريب الذي تمادى في الحلم. أخذني بكل حنان بين ذراعيه وقبلني وتفقد جسدي، ثم اختفى. رأيته بكل تأكيد ولم أستطع أن أتبين ملامح وجهه. في الصباح بكيت بحرقة وأدركت أنني عشت ليلة بين يدي رجل غريب لا يملك وجهاً يمكنني التعرف إليه.

للحالمين وجوه ممحية

وجوه منفية، ولي وجه يشعل الحلم وينطفئ في ومضة.

لستُ على يقين مما يفعله هؤلاء الغرباء الذين يدخلون حلمي ويخرجون. إلى أين يذهبون بعد ذلك؟ وأين اختفى ذاك الرجل الذي بلا وجه؟ أتراه يعبر منامات امرأة أخرى؟!

ولماذا يهمني أن أعرف سيرة الذين يقتحمون حلمي؟!

الذي يثير انزعاجي أنني أراهم في الحلم يكلم بعضهم بعضاً، ويعرفون خارطة المكان والطرقات جيداً، يعرفون نشرة الأخبار الجوية، فيزداد شعوري بالغربة حين يدعوني لحقولهم، يدخلونني إلى أماكنهم الغريبة، ولا يخطر لهم كم أنا قلقة من وجوههم التي لا ملامح لها. أحياناً يزداد خوفي تعقيداً فأبدأ بالصراخ وأحاول أن أستيقظ.. أضبط نفسي وأنا أقول لنفسي، هذا حلم سيأخذك إلى الجحيم، ومن الأفضل أن تستيقظي. ودائماً أهمس لنفسي: لا تصرخي في الحلم كي لا يقلق جيرانك. الجيران الذين ينامون في الغرفة الملاصقة لغرفة نومي وربما يحلمون مثلي ويتعرقون. ليل البارحة صرخت (بابا... بابا) في الرابعة صباحاً. فقلت لنفسي: هذه أول مرة أصرخ مطالبة بأبي، رغم أنني لست صغيرة وفي خطر.

مكتفة اليدين أقف الآن على هاوية بين عالم اليقظة والمنام وأمامي اغتراب لا يحدّه كتاب.

امرأة كحلية

أنتَ تريد امرأة تغرقك في بحر الحب لتنتشي. وإلى مائها تغطس حتى أذنيك. امرأة تهيم بك ، وتموت حنيناً وهي مبتسمة، بينما يداها معلقتان في الهواء تحتضنانك كما لو أنك العالم!

هذه امرأة تريد بحراً تُغرق فيه كل أوهامها عن الماء واليابسة بينك وبينها ، وتحتضنك كما لو أنك فراغ لوني ملتبس.

تفكر بقلبها وتكف عن الحساب: كم نسبة المياه في جسدك وجسدها ، ولم كل هذا اليباس الذي يغلف القلوب الصغيرة التي تشبه مجرات نائية يختلط فيها الوهم بالحقيقة؟!

أنت تريدها امرأة جسدك، فيما تحافظ على قلبك في يديك ليبقى جافاً . قلبك الذي صار صحراء .

ويتشقق حين لا تقتطفه أصابعها الموعودة بالربيع .

يتشقق المدى أمام عينيك فتتلبد الرؤية. كل صباح تحترق زهرتها في ذهنك فتضع قطرة طبية في عينيك كي تبحلق في الموجة التي ستحمل إليك هذه المرأة التي ستحبك إلى آخر الجمر والبحر .

هذه امرأة أغواها البحر . صار ثوب وجدها كحلياً وهي تصوغ لك من اليابسة والرمل والماء أيقونات تأخذها الموجة التي كانت زرقاء فصارت كحلية.

حادة سيرة قلوب تائهة في مجراتنا التي نجهل أسفارها وهي تدور في فلك ذاتها والآخر منذ بداية التكوين!

أنتِ امرأة حزينة

أنتِ حزينة قبيل منتصف الليل . تهزين قدميك في ضجر، تعقدين ما بين حاجبيك، وليس الوقت مناسباً للتفكير برجل مأخوذ بأصابع قدميك ويرسل لك صفحة من الكلمات المتقاطعة كلما أراد أن يقول أحبكِ .

على صفحة زرقاء تخربشين كلمات لا نقاط عليها ولا غبار .

وعلى صفحة أخرى تبعثرين أصفاراً ونقاطاً لا حروف حولها فتسقط ببلاهة في الفراغ .

تعودين إلى بداية السطر وتكتبين: كلما انكسرت بيضة ماتت قصيدة .

كلما ماتت قصيدة ولد غراب .

تتأرجح الأصفار كثيفة في أفقك، فتقولين هذه أخطاء في الرؤية، وليس الوقت مناسباً للشكوى لسكان الأرض . أنتِ امرأة حزينة جداً في تمام الساعة العاشرة ليلاً .

تقولين لنفسك سأتعلم فن الرحيل بسعادة، لأبقى رفيقة نفسي عاماً آخر على الأقل .

تعقدين ما بين حاجبيك– تفكرين في أول وجبة جمعت آدم وحواء، بعد وجبة التفاح اللعينة الشهيرة .

تعتقدين أن معدتك فارغة لكن جوعك كاذب وأبيض . كان عليك أن تقبلي الوجبة التي دعاك إليها رجل أصرّ على حبك، حين ضجر من زوجته . تطقطقين أصابعك بحذر، وتقولين كل الزوجات ضجرات من أزواجهن وكذا الأزواج، وأنا أشعر بالضجر كلما تمعّنتُ فيما أغدقنا به الشعراء بقصائد عن الحبّ الأبدي .

لم تكوني جائعة حين فتحت البراد، أخرجت بيضة بنية، وضعتها على حرف مائدتك البلورية .

نظراتك القلقة كانت تمسح أبعاد البيضة .

كان بوسعك أن تضعي البيضة في المركز وتكفين عن حساب فيما لو سقطت البيضة على الأرض، واتسخت السجادة . تكتبين أن سقوط بيضة واحدة لا يختلف عن سقوط دزينة من البيض . نفس الجهد

مطلوب للتخلص من آثار السقوط ورائحته. تكتبين لو تم تلقيح هذه البيضة، لكان فيها صوص أصفر أو أبيض. وفي حالات هجينة قد يشق جدار البيضة صوص بلون الغراب.

أصابعك على محيط البيضة تدور وتضيع. ترسمين دوائر متحدة المركز تتسخ البيضة من غبار أصابعك، فتأخذينها إلى صحن البيض في البراد كي تواصل الإقامة أياماً أخرى، في انتظار فم جائع.

تحاولين أن تتذكري وجه ذلك الرجل الذي قال: كلَّ مساء أفكر في أصابع قدميك يا امرأة.

تنظرين إلى قدميك الحافيتين تحت الطاولة، فتبدو الأصابع منحنية على بعضها كأغصان متفاوتة الطول، جذورها لا مرئية تقولين في سرك سأضع طلاء الأظافر الأحمر تكريماً لذكرى العاشق الذي تكرّم على أصابعي بذاك القدر من التبجيل. رجل حين صافحته للمرة الأخيرة، لم يستطع النظر في عيني. كان يهز قدميه في قلق فتهتز الطاولة الباردة التي بيننا ومن فوقها الكؤوس الفارغة من الشراب.

تنقرين بأصابعك فوق زجاج الطاولة المدورة التي تراكم فوق زجاجها

الغبار والأقلام الجافة.

غبار الأيام ينتشر حلقات مائلة إلى العتمة، عليها ترسمين خطوطاً متشابكة، ودوائر.

تقولين: لو كان الحب غباراً لمسحته بإسفنجة

لو انّ للحبّ لون الغبار لتعرفتِ عليه من أول نظرة.

يرن جرس الهاتف، تبتسمين وأنت تقرئين على الشاشة رقم الرجل المتصل.

ولأنّ أصابعك مشغولة بالغبار،

لا تجيبين.

وبرفقة أصابعك التي أطلقتها في سرير العالم، تمضين دورة كاملة، ثم تخرجين من الدائرة القمرية، بيضة لا غبار عليها.

الملح والجسد

0

ليست الكلمات كل ما تحتاجه النساء

لقد خانتني الرؤيا

ولم توقظني

إلا صفّارات الإنذار في بناء مجاور لبيتي راح يحترق حين ذهب الآخرون

الى النوم

1

ليس ماء البحر ما يشغل السمكة

ليس الملح كلّ ما يحتاجه الجسد

ليست وحدها الكلمات ما تحتاجه امرأة تنصبُ للأيام سلم الرغبات

2

إنها الثالثة فجراً

ولم أعثر على الكلمة الأولى التي قالتها حواء لآدم

وعاجزة عن فهم الأساطير، المرأة المهاجرة، الغافية في شقة امرأة معلقة

على هامش مدينة كندية.

3

حذفتُ من النصّ

بحراً

راحت الأسماك تتخبّط

على الهامش بلا تيّار

فوق سطور من حبر

4

وحده قلبي يعرف

كيف تتعانق الكلمات المحذوفة طوال الليل

في العتمة عارية.

5

ما الذي أتى بالسالمون إلى هذا السّطر؟

إن كان حنيناً وموتاً، سأحذفه حرفاً حرفاً

أشتاق إليك أحياناً

وأغلب الأحيان أدرك كيف يبالغ السالمون في تفرّده

وكيف تواصل أنتَ الخوض في العدم حتى الرقبة

بكل صراحة تعيد على مسمعيّ "أنا رجل بلا رغبات، لا اشتياق

يضنيني أيتها المرأة، كل الأمكنة ليست صالحة لاحتوائي".

6

هذه الكلمات غيمة

ليس لمائها وطن

الغيوم لا تطلب اللجوء

لا تسقط من القلب سهواً

يا الله ما أشدّ هذا الجفاف!

حديقة كونية

ليس لأحد أن يتكهن بما يجري في أجساد النساء وقلب الأشجار

لن يصدّق أحد أنّ الشجرة خانت امرأة

سقطت حواء عن كرسيها وهي تتحدث عن أحفادها وصيف

حديقتها السعيدة

سقطت شجرة من طولها فوق جذع المرأة

الشجرة العجوز الملتوية كأفعى ليس لها اسم في الحديقة الكونية

اخترق بوق سيارات الإسعاف، الجوار

سقطت قلوب الأصحاب بين الأقدام

كالدموع تساقط الورد في الحديقة

أطفال الحارة نكّسوا طائراتهم الورقية الشاحبة

المرأة التي سقطت فوقها الشجرة،

ذهبوا بها إلى المشفى

لُفظ اسمها ميتة، المرأة التي كانت ترعى الشجرة مذ كانت شتلة
في ظل أضلاعها كانت تنسج كنزة لآدم
ومن حولها أصدقاء قدامى يتسامرون على رائحة الشواء والنبيذ
ويختلفون حول تفاسير وإشارات القيامة
تقبّلَ آدم التعازي في يوم واحد
كتب تقريراً لحماة البيئة عن عمر الشجرة وأحوالها في الأيام الأخيرة
ثم انصرف يصنع من جذعها قوارب للعابرين إلى الضفة الأخرى من العالم
ومقاعد للزوار الجدد

بعد أربعين يوماً زرعوا على قبر المرأة شجرة تفاح
مهما تقاذفتها العواصف
لن تقتل المرأة ذاتها، مرتين.

معابر

أن تحشو رأسك بقراءات عن الجنس، الأنثربولوجيا، أو علم تنضيد الحروف فهذا ليس من شأن القصيدة.
وليس من واجبها أن تحمل لك الانتشاء، وأعواد الثقاب لسيجارتك التي تمتص قلق شفتيك المعبأتين شوقاً.
ليس بمقدور القصيدة أن تحصي أسماء من حاولوا اقتحام خلوتها قبل أن تغتسل في المجرة.
أن تعيش امرأة—أعطها ما شئت من الأسماء الحسنة– وحيدة منذ بدء الخلق، فهذا أيضاً ليس من ضرورات القصيدة.
صديقي الذي يحدثني الآن بقوة عن القصائد الخالدة والحب الجارف ونحن نسير في الحديقة، سيكون غداً في جوار امرأة أخرى، وسأنشغلُ أنا بالسير في جوار رجل آخر يكره القصائد والحديث عن إحداثيات القلب، ويرى الأرض سريراً مناسباً لكل الفصول.

سأسير مع رجل يتحدث بلا توقف عن الفيزياء الكمية وكيمياء الجنس
يقول إنه يشرب الخمر وريق الحبيبة حين تنتصب في ذهنه ذبذبات
الكتابات التي تتحدث عن الحرية .
صديقي يستظهر ذاكرته عن النساء اللواتي يعرفن لغة الجسد . يتغنى
بالثورة ولا يهتم بنقيق الضفادع وقرصات البعوض التي تحوم حولنا .
لكائنات الطبيعة حريتها – يقول .
صديقي يقول إنه سيكون سعيداً حين تكون في جواره امرأة تطرد العتمة
عن جسده، وتكف عن الحديث عن الترفع الحروري واحتمال خراب
العالم والربيع الذي لم يكن ثورة على الجدب .
القصيدة ستغنى أيضاً ، حين تموت الضفادع والبعوض والرجل الذي ملأ
رأسه بي .
وليس من ضرورات القصيدة أن أحبك إلى الأبد .

وداعك الأخير

الألم، أحجية معلقة في حضن امرأة تجهض جنينها
الألم، موت معلق في بطن امرأة تذهب إلى غرفة العمليات بقدميها ، وقلبها
معلق في سماء الكتاب
"بالألم تحبلين وبالألم تلدين، هو يسحق رأسك وأنت تلسعين عقبه "
قيل في الأولين
ولم يُقَلْ إنك بالألم ستكتبين الألم وهو ينزلق دماً فوق قفازات يلبسها طبيب
يسحب من رحمك عنقوداً على هيئة عصفور
الألم كتاب يقتات من الرحم
وماضي العشق . وأنا واقفة في موكب وداعك الأخير الألم،
وأنت مكتّف اليدين، مغمض العينين، خارج الزمان والمكان

هل أعجبتكَ هذه الضجعة الأبدية ؟

هل تشمّ رائحة الورد حولك ؟هل يؤلمك الجليد ؟

هل تذكر كيف مشينا تحت الثلج في مدينتنا الجميلة التي شهدت حبنا ،

وما تبقى من عناقيد الكروم ؟

هل ستشعر بالوحشة وهل أدعو الأصدقاء القدامى والجدد ؟

وحين يحضرون إلى منفاك الأبدي،

هل ستحكي لهم عني، عن بيتك، عن وطنك الأول، عن عشقك

للرقص. هل سترقص حتى يتصبب العرق من مساماتك وتجلس

منتشياً تقول: الرقص عبادة ؟

الألم يكبّل قدميك

ولا يموت إذا أطلقتهما للريح وهجرت العالم

الألم يقطف وجه الكلمات

لا يتناقص إذا توقف قلبك عن النبض

مستلقياً في صندوق خشبي على مقاسك

مغمض العينين غافلاً عن طفلك، عن حبيبتك

عن امرأتك الأخيرة

وعن ضيوف جاءوا لوداعك

عن حلمك الثوري وعن الألم.

الألم، هل يقع في أصابعي أم معدتي أم بين السطور !

في العتمة أنت ممدد على طولك، هادئ كما لم تكن من قبل. غير عابئ بمن

أتى وما سيأتي.

الألم ليس وجهك الهارب من الوداع

ليس اعترافك بالحب وبالخيبة، ليس اعترافك بحضور امرأة تشرب

من فنجاني، تأكل في صحني، تنام بين شراشفي، وتقذف في العاصفة

صورنا السعيدة والملتبسة.

الألم متوالية حدودها العالم، عناصرها القلب والعقل وأصابع امرأة

تكتب الحبّ بالطباشير

تكتب الحب بالياسمين

تكتب الحب، بالألم

وتحفر كلمات على الجدار، ثم تزيل الكلمات عن الجدار. ترسم شمساً.

الألم ليس شهواتك المستحيلة.

والألم بقايا قصاصات القصائد العاشقة والثورية والغنائية التي كنت تتلوها كلما التقينا، وبقايا رسائلك التي عاهدت نفسي ألا أفضها ثانية.
الألم أن أرسم على الورق أصابعي، وفي آخر الليل لا يبقى منها سوى آثار حريق. وفي كل مرة أجمع الأصابع وأصنع منها محرقة. أنثرها في الفضاء فيتساقط الرماد علينا، وعلى الأشجار المترنّحة على حافة بيتك الأخير.
الألم نداء يربط ما بين أصابعي ورقعة في صدرك وتلويحة أخيرة فيما أنت تسافر مكتف اليدين هادئاً مفرغاً من كل ما كنت تحبه وتمقته.
أنت رأيت العالم علبة كرتون ملغومة يحملها شاب أحمق ومتلئ بالإيمان، يتوضأ، يصلي، ويخرج نظيفاً لتنفيذ فصل جديد من الموت الانتحاري يقتلنا بعد أن يكمل صلاته المدمرة.
مغمضة العينين، وإحدى أصابعي تنام في حضن الغربة
وإحدى أصابعي تلملم كرة نار تلتهم كبد السماء
وإحدى أصابعي أعدّ عليها صور الألم
وإحدى أصابعي تتجمد من البرد

يا لأصابعي، كيف ستكتب صوتك ولون بشرتك وأسرار عشقك!
وبأصابعي كلها أتمسك بيد الطفل الوحيد وأزور للمرة الأخيرة بيت الحبّ الذي فرغت عظامه من الحياة.
أفتح باب البيت
أتركه مفتوحاً
وأخرج من المشهد مرة واحدة وإلى الأبد.

نحن والهنود الحمر

نحن والهنود الحمر جيران
ونعلّق آمالنا على الأشجار
إن أثمرت، نتقاسمها مع الغرباء في هذا الكون
لا نعلّق الآمال على أحد ، نحن المصابين بالحياة
نرقص على ايقاع النار المتقدة في أعالي الجبل
وحين يأخذنا التعب، نفتح بقجة الكلمات ونحرقها فتصل روحها إلى
روحك وأرواحهم في مقامها الأعلى
ويشهد الجبل والأشجار والنار
نصمت . .نصمت . . .نصمت
ولا يصيح الديك–يا ربي،
كيف الخلاص ؟ !

وجهي الذي كان في البدء

كان وجهي هائماً يغتسل في ينابيع الرغبات ويرشح الندى
لا شيء الآن عدا قرصة بعوضة على كتفي الذي يحنّ لوجه طفل أحمله
على كتفي ثانية وإلى الأبد .
هذا الموج، وهذا الحبر وأنت، لي
كلّ هذا الرمل والغيوم وفوق ذلك الغيم والنسمات الحارة التي تحمل
البعوض
البحيرة الكحلية
حين أرجمها بحجارة ناعمة
يأتي الموج ليعانق أصابع قدميّ !
من الماء تشرق وجوه غير مكتملة
القمر رغيف متوهج،
يشهد فرح الجسدين فوق صخرة تطل على الماء

وأنتم– الغائرون في العمق

قسمات وجوهكم العائمة

ترتطم بي، ثم تنحسر

أحد الوجوه يتشبث بي، أعيده إلى البحيرة، فيرتدّ

أعيده فيرتد ثانية

ماذا أفعل حيال وجه يرتد بلا قناع؟

أتراه وجهي الذي وحيداً كان في البدء !

غير عابئ بي، بالمكان، بفرق التوقيت بين وجهتين

حملت الوجه بأكمله ومضيتُ

لم يكن البحر في انتظاري

لم تكن أنتَ

الوجه أشرق وأثيرياً راح

يطوف بلا بوصلة ويتمتم:

هذا شمال آخر ليس الشمال فصلاً

ليس يأساً وليس خاتمة الأحلام.

الأشجار لا تنظر إلى الخلف

الخريف مرادف السقوط

فهل وقعت قضية آدم وحواء في فصل الخريف ؟ !

كل عام، لا بد من أيلول

لا بد من السقوط

لا بد من القيامة

الأشجار لا تنظر إلى الخلف

لا تتذكر ثمارها

تطرح الظل والثمار بلا حساب

من العتمة تعود المرأة الأولى وبين أصابعها ثقوب

بين خطواتها آثار جنة مفقودة

تقفز فوقها

وتواصل العودة

تنظر إلى الخلف ولا نرى لكل خطوة أثراً

ننظر في عيون بعضنا

فيتساقط الصمت خمرياً كخريف تورنتو المائل إلى الحمرة

لا تنظروا إلى الخلف !

جسد على حافة منفى

هذا جسد امرأة على حافة منفى يشتبك بالكون

امرأة نامت على ضلعها الأيمن سبع سنوات وسبع ليالٍ وبين أضلاعها أخفت خلاصة الأسرار .

امرأة لا تزال إلى الأعالي ترفع كاهل اغترابها ومناجاتها . تحمل حقيبة سوداء متوسطة الحجم، فيها كتاب مقدس، قنينة عطر، ومرآة وأحمر الشفاه .

لم تعثر على كتف ويد ترافقها إلى آخر المطاف . لا تزال واجمة تسير

ولا يزال العالم يحدق في سرّها بنصف عين

فيما هي تخط على أرض الحديقة ما همست به للملاك الذي على كتفها اليسرى، في الثالثة فجراً :

ذاكرتي لا تدعني أنام، تقلّب صفحات العالم منذ قرون !

تنشغل المرأة التي نامت على كتفها منذ أول الخلق بالبحث في أسرار

الحديقة

تقترب من امرأة أخرى تلبس شالاً أزرق

تربت على كتفها بحذر، وتحدّثها عن أسرار الكتف اليمنى

فيما آدم يتجول في الحديقة ضجراً

ثم يعرج إلى أقرب مقهى

يحتسي الكابتشينو ويبتكر أحاديث طريفة مع بنات حواء الجميلات اللواتي يأخذن قيلولة بعد الظهيرة

آدم لا يتوانى عن التصريح بصوت مسموع أحب النساء الممتلئات، ذوات العيون السود، المسلمات والمسيحيات والبوذيات. لا فرق. في البدء لم يكن هناك ديانات.

المرأة التي نامت على كتفها وشعرت بالخدر مرات، طلبت قهوة بلا سكر واقتربت من ركن آدم وجلست تحدّق في كتفي آدم الذي لم يكف عن سرد مغامراته في العشق بصوت يملأ المقهى.

المرأة تقول لنفسها: هل حقاً صنع الله حواء من كتف آدم، اليمنى أم اليسرى، أم صنع حواء من عضلة لسانه؟

كان آدم يقول للنساء المتحلقات حوله: لقد صنعت أطفالاً كثراً في كل مدينة زرتها، أطفالاً سوداً وبيضاً وبالألوان. في الحلم ليل البارحة سمعتُ أصوات أطفال بلغات لا أفهمها. وحين بحثت عن أصل الكلمات ومعانيها، عرفت أنهم أطفالي العاقون وينادونني "بابا-بابا". يقولها ويقهقه ويغمز للمرأة قبالته.

حين تضع المرأة التي نامت على كتفها سنوات عينيها في عينيه يصمت آدم ويقول: أنت تحديداً أشورية، أقرأ ذلك في عينيك الساحرتين. ثم يضيف: وأنا عيناي أجمل، انظري، كان أبي عربياً ذهب إلى المغرب كي يساعد في حملة التدريس والتعريب، لكنه "تفرنس" على يد امرأة فرنسية صارت أمي التي لا أعرف أين تقيم الآن!

ترياق وحب

سألتني حين كانت أصابعك في شعري، وعيناك تلاحقان موجة كحلية ترتطم بالصخر: هل من حبّ حقيقي ؟ !

أجبتُ: ليس حباً هذا الذي بين الموجة والصخرة !

كان صوتي حاصل ارتطام خدّ الموجة بحافة الصخرة. صار وجهك مثل الرغوة الصفراء التي تفور على صدر البحر الذي كنت مأخوذاً به، ولاجئاً إليه.

حلّ علينا الصمت فصار الموج أشد غضباً.

قلتَ بنبرة مبطّنة، فيما يداك تقلبان الرواية المملة التي حملتها معك إلى أكثر من بحر وأنت مصرّ على أن تقرأها حتى النهاية: أبحثُ عن امرأة تحبني كما لم تحبني امرأة من قبل. أريد امرأة تحبني جداً. قلتها وأنت ترمي الرواية من يدك على الشاطئ بنزق وتقول: افففف، بعض الروايات أشدّ مللاً من الحياة.

أجبتك وأنا أبتلع ريقي: سأشعل لك آخر شمعة وأدعو الله أن يرسل لك حورية بحر من سلالة أفروديت كي تحبك بلا هوادة !

نظرتَ إليّ وكان صوتك بارداً منهكاً: أففف، النساء النساء . . . يا الله !

نعمة هو الحب. ليست المناكفات من مستلزمات الحبّ. أنت تعرف هذا. ولا تزال تحمل الرواية المملة وقصائد الحب التي أخفيتها في جيب قميصك إلى أن تجد امرأتك المثالية !

هل لديك وهلة للتفكير في الموجة الأرجوانية التي بللتك ومضت ؟ !

متى سيعود قلبك صالحاً لتذوق أجوبة الحياة وترياقها،

"فليس أحدَ من ناب أفعى إلا حبيبٌ يتنكر للحبّ"

ليلة وألف خيبة

إلى عمق حلمك وصلتُ بعد ألف خيبة وليلة

لم يكن لك بيت–

ضالاً وجدتك

كئيباً أكثر مما يجب

كانت الصالة مكتظة بضيوف لا أعرفهم. قلت إنهم ليسوا ضيوفك.

فمن أين أتى كل هذا الحشد من الغرباء إلى حلمي!

تصرّفتَ كجنتلمان، خلعت عني معطفي وسحبت لي الكرسي.

وضعت يدك في جيب معطفك الأسود، سمعت خشخشة النقود.

حشرت في يدي ما يقارب ثلاثة دولارات وطلبت أن أشتري قهوة لي ولك

من ركن صاخب في أقصى الصالة. تأملتك بعين واحدة، وانشغلتُ بما

تركته الأيام من أثر على حذائك، وعلى جبينك

أيها الخائب،

حين تستدرجك امرأة مترعة بالحياة إلى حلمها

لا تشترِ لها قهوة عربية أو كابتشينو

خذها إلى خيمة قلبك– كأنها المرأة الأولى والأخيرة

لا تعتذر عن سقوطك في بؤرة جسدها

وإياك إياك أن تقرأ عليها أسطورة التيه بينك وبين إيثاكا!

نكهة المنفى

للمنفى نكهة لاذعة
مطبخي المشرّع على غرفة الجلوس المحاذية لغرفة النوم يفتقد صخب
الأحبة والإخوة الحلّة فوق النار وحيدة
الجمرة مطفأة أصابعي مشغولة بالفراغ. لقد سقطت عن المائدة كأس
الكريستال القديمة التي عليها آثار شفتيك،
تشظت مع ما تبقى من النبيذ
أتذوق الشورباء الطازجة
ما الذي ينقصها ؟
أعيد قراءة المكونات: كوسة، بصل، باذنجان، بندورة، جرز، فلفل،
وقرنفل لا تحتوي المرّ
لكن الخلطة لها مذاق غريب
أهذا مذاق غيابكَ يا حبي ؟ !

جدران الغريبة

كانت جارتي في الشقة المجاورة تبكي – ليلاً
طلبتُ لها البوليس
وجلست أقرأ قصائد عن الأخلاق الحميدة

تباً للجدران،
أيها الخائب لا تبتهج هكذا
تحنّن على حلكة ليلها، كن معها –
أكثر رقة من ضابط البوليس حين يخترق بكاؤها – جداراً بينكما !

هذا مساء غير صالح للحبّ يا فالانتاين

كلّ هذه الصحون، كل هذه الطناجر، كل هذه الكؤوس، قناني الزيت، المنظفات، الكلينكس، علب البهارات، الماكياج، علب الشامبو، والكريمات متعددة الأغراض، المناشف والشراشف، والأحذية . . كلّ هذا لي، فما أنا بقليلة!

عندي أيضاً حذاء أحمر بكعب عالٍ سألبسه حين أذهب إليك

إلى حيث لم يعد أحدٌ من هناك ليخبرني شيئاً عنهم. وسأنسى هذه الأشياء حين أكون هناك لأنهم لا يطبخون الدجاج. لا يأكلون البطاطا، الأرز. لا يغسلون الصحون ولا الفاكهة. شرابهم لا يسكر. حين يأتيهم ضيوف لا يقدمون لهم فناجين القهوة بأطباق متماثلة. حين أخرج من بينهم لن أجد مكاناً أذهب إليه. لا أصحاب ولا عشاق. إنّهم في الضفة الأخرى لا ينجبون، لا يثرثرون، لا يتحدثون عن الطقس. بالروح ومشتقاتها يعيشون. هذه مجهولة الروح التي بلا جنس ولا هوية.

مربكٌ أن يصح كلّ هذا، وعلاوة عليه هذا الحشد من القامات الخريفية التي وقعت عن شجرة القلب. وفي العراء تركتها تسرح كأرواح ممتلئة بالزرقة والحكايات.

هذه حكاية إحداهنّ: أمام محلّ فخم كانت السيدة واقفة تتفحص المعروضات والأسعار، كان لعابها يسيل. إلى أن حلّ المساء سال كلّ لعابها، أغلق باب المحلّ انصرف الناس إلى بيوتهم وبقيت السيدة وحدها مسمرة في المكان. المرأة التي سال كلّ لعابها تجمدت هناك، وفي حلمي ما زلت أستعيد صورتها حين أبحث عن مبررات للعزلة والقول: سأذهب وأنا سعيدة. ولِمَ لا أكون سعيدة؟! لديَّ أكثر من باب وشبابيك يطل منها الغرباء. لم يعد للشبابيك أصدقاء. أبواب جيراني مغلقة عليهم ولا يحدثون ضجة، كلبهم لا يعوي ويقلق انهماكي بالبحث عن سبب ازدحام بيتي بكل هذه الأوعية والكتب والصور والمسودات الإلكترونية والورقية. لا بد من طريقة للخلاص والفرح.

وكامرأة سعيدة أذهب مع رجل يبدو سعيداً إلى مطعم إيطالي بجذائي النظيف. ويسترسل محدثي في الحنين إلى هناك. يكذب مرتين في جلسة

قصيرة وأنا أبتسم بغنج أكثر من مرة. يقول أكثر من مرّة إنه يحب الصدق والأمانة. الرجل لم يعد يحتمل ابتساماتي التي تبدو له لئيمة. ارتبك ولم يعرف كيف يفسر لغة جسدي. شرب النبيذ وقال: هل تتهكمين أم ماذا، ألم يعجبك النبيذ؟ لن أدعك تدفعين الفاتورة، ثم غادر برفقة ما خلفه النبيذ في رأسنا، وعدت إلى هنا كأي امرأة سعيدة تجلس لتكتب شيئاً عن الأبواب التي يخرج منها الآخرون ويتعذر عليهم قرعها ثانية.

أبوابي واقفة معي وتشيخ. نكبر معاً أنا والباب والشباك وهذه الزريعة التي تتوعك أوراقها ولا أعرف لها علاجاً. هذه الأشياء والأسرار ستبقى هنا حين أذهب على غفلة إلى مكان بلا باب ولا شباك. شبابيك بيتي الفارهة ستبقى أمينة لمهمتها، تستقبل الشمس والهواء والضيوف، توزع النور والعتمة على القاطنين الجدد وحبذا أنهم عشاق.

هذا مساء كله لي. بين الصحون والملاعق ورفوف الكتب أنتظر نشرة الأخبار والبرنامج الكوميدي السياسي. أغفو فوق الأريكة مبتسمة لمقدم البرنامج الوسيم اللئيم. حين أستيقظ من غفوتي تكون رقبتي متشنجة، والطريق إلى السرير غامض وطويل.

وكامرأة تتمادى في الحلم أتخيل أنني أعانق الرجل الغريب الذي التقيته في إحدى المحطات. أغفو ولن أشعر بالعاصفة التي تقض سكينة الليل. لن أشعر بسقوط الثلج، فلم أعد رقيقة إلى هذا الحدّ. لن أكترث بالحبّ الذي انكسر أكثر من مرّة. لن أعير اهتماماً ما آلت إليه أبواب وشبابيك البيت الذي غادرته أوائل خريف عام 1997 ولم أصل إلى أرض بعد.

هذا مساء غير صالح للحبّ يا فالانتاين.

الفصل الرابع

أمي – الحياة

حياة تكره الحرب

وأحبها—

الحرب تلتهم الحياة

هذه الحياة. حياتنا . حياتنا التي هنا الآن

ولأنها ملتوية وعسيرة وناقصة يلزمها الصفح

أيامنا مترعة بالجوع . وجوهنا معفرة بالحرب

ونحبها لأنها الوحيدة

ليس الانتحار حرية

وليس القتل غواية الحياة

الحياة لا تحب الموتى ولا تحب المنتحرين والقتلة

الحياة تكره الحرب

تكره الذين يأخذون بها كل يوم إلى القبر

الحرب ليست على الجبهات

الحرب موغلة في شوارع الحياة
الحرب تشمّ رائحة الموت وتلهث كي تصطاد ما تبقى منا وفينا من حب
الحرب تقتات على بقايانا
أيتها الحياة– يا أمنا الثكلى، كم فقدتِ من الجماليات
وكم مخلّصاً يلزمك كي تقومي وتشربي الوردة والنبيذ
كي تواصلي العيش فينا هنا –الآن ؟ !

رغيف الحياة

لن أعلّق قلبي على المشجب
لن أطعن قلب الأيام بسهم
لن أكللكَ بالأشواك
بذراعي المكسوة بالفراشات
اليوم، لن أذهب معك في الحرب المضمرة بين رجل وامرأة
لن أعلق أحلاماً عليكَ سبق أن علقتها على الأشجار
في غابات الهنود الحمر
اليوم، لن أبكي وأدع حزني يطفو على وجه البحيرات
لن أقفز في الفراغ الشاهق
اليوم، سنتقدم خطوات باتجاه الماء
سيكون في السماء شقوق
وفي الأرض رعاة

نجمة في الشمال ونجوم تتهامس فيما بينها ، علينا

ولا تسقط

اليوم، لن أعلق عليك الوهم

أنتَ الذي وشّح جسدي بالزعفران والندى

اليوم سأحبك ولن تتوقف الحرب

سأدعك تذهب إلى امرأة في خاطرك

ولن تتوقف الحرب

أيتها الحرب لستِ عشقنا المرتجى .

القصيدة يوم الأحد

القصيدة يوم الأحد تستيقظ على الحياة. تلبس قميص نومها الأبيض الناعم الذي أخرجته من الحقيبة. لا تعير انتباهاً لتجاعيده. تضع عطراً على رقبتها . تسمع الموسيقى وتعطس بين حين وآخر . تضع أصابعها في شعرها وترفعه عن وجهها و تقول: رقبتكِ أجمل وكتفاك حين لا يسكن الظل وجهك.

تضع حول رقبتها شالاً ملوناً أحضرته من البلاد، تعويذة تطرد الغربة المعلقة في مفاصل روحها . تشرب القهوة بتكاسل وتقلّب المدى. تصيخ السمع إلى الفراغ.

لا تقرأ القصيدة أخبار الحرب في البلاد البعيدة.

فجأة تقف وتمسك سماعة الهاتف كما لو أنها في المنام تسمع صوتاً من هناك أو يخال إليها تعيد السماعة إلى مكانها بلا أدنى كلمة. تفكر في الأم والأب والابن والأرواح المهاجرة.

تشرب رشفة أخرى من فنجان القهوة المخطط بالأبيض والأحمر .

القصيدة يوم الأحد تشعل شمعة في صحن على هيئة نجمة .

الشمعة مرآة الظلمة .

هي لا تنظر إلى وجهها هذا الصباح. لا تضع ماكياجاً ولا تحلم بأشياء خارقة .

القصيدة يوم الأحد لا تذهب إلى الصلاة في أيّ مكان .

تتأمل وليست مقطبة الحاجبين . لا يمكنها أن تتأمل وتعبس في نفس الوقت .

القصيدة يوم الأحد لا تقرأ المكاتيب الشخصية القديمة ولا الكتب القديمة

إنّها محض قصيدة وأنت الكتاب

قريبة من الروح البعيدة، منفية ولها في العالم ركن يهتدي إليه عشاق الحياة .

القصيدة يوم الأحد تمقت المخابرات والصراصير والطائرات التي تقصف أعمار البشر .

لا تحب المبالغات الوطنية والعشقية والبيانات الأدبية .

بكل أصدافها ، كريستالها ، أمواجها الزرقاء والأرجوانية تشتبك مع القسوة والنرجس في بوتقة الموسيقى والماء .

مأسورة للنور تقول فليكن هناك نور – فليكن هناك نور وأكثر . الشمعة تتمايل

القصيدة يوم الأحد تبحث في القاموس عن معنى كلمة تسلية . لا تحب فصفصة البذور لقتل الوقت . بين أصابعها أشواك وأسوار وياسمين . على كتفيها ما عليها وما عليك . ولا تتحدث معك لقتل الوقت .

القصيدة لا تلهو بعيداً عن ذاتها . لا تتقصد أن تضرم الوجد في المحابر كي تشعل قلبك المجهول . القصيدة يوم الأحد لا تدعو إلى الحرب على أحد .

القصيدة يوم الأحد امرأة ترفع قداساً لشخصين، تضع لقمة في فم الطير . ومن فمك تحيك أرقّ مزامير العشق . لا تنام ولا تدع البحر يأخذها .

تكسر من رغيف جسدها قرباناً . تقيم الوليمة . تفتح النافذة وتدعوك للعبور .

تكتب بأصابعها على الوردة: أيها الحبيب، كم تأخرت !

عن الحب في ليلة باردة

فكّر باللاشيء
فكّر بي
بشتاء الأطفال المزروعين في عراء العالم
بزمن لم تعرفني فيه
بزمن لم تنتصر فيه على نفسك
وعلى الحرب
بزمن لم تذق فيه طعم السجن
لم تعرف معنى الجوع وطعم الخوف
فكّر
بأيام كنت تتقاسم فيها الخبز والزعتر والزيتون مع أطفال الحارة بعد اللعب
فكّر بي

فكّر بأولاد الحارة وبناتها، وحين كنا نقترب من حائط مقدس
نفركُ حجراً رقيقاً بالحائط الحجري الخشن، فيلتصق الحجر بالحجر
فنقفز من هول المعجزة
فكر بنا حين كنا نؤمن بمعجزاتنا الصغيرة البريئة
فكّر بي—
باللاشيء
بحبنا الذي لم يصبح حقاً حباً
فكّر بأننا اللاشيء
وأننا كل شيء
وأننا
قرابين
على مذبح الحياة
التي وعدتنا بالياسمين
في حديقة كونية هي سبيل كل العشاق
وجنتهم على هذه الأرض

سوريان على الحافة

هذان سوريان على الحدود
رجل وامرأة بينهما إيقاع الحرب يشتدّ
انظر إليهما كيف يتعاركان من أجل قبلة،
كأنها الأولى
وكأنها الأخيرة!

. . .

على حدود البلاد يرتجفان
سيغادر أحدهما
وفي قلبه وعد
خزان شظايا
والحب الذي لم يحدث كما يجب

الآخر، سينتظر

. . .

بعد عشرين عاماً،
سيجلسان كل منهما في رحاب غربة ومنفى
كأنهما شابا وحيدين كما عاشا وحيدين في زحام المدن
سيحدثان أولادهما والأحفاد
عن الحب الذي كان ولم يكن
سيكتمان دمعة
ولوعاتٍ
سيبتسمان ويقولان بقلب منكسر: كنا على وشك الحب
تباً أيتها الحرب، أيتها الحروب،
كم قتلنا!

. . .

وقد يموت أحدهما داخل الحدود
أو في شجن المنفى

ويبقى الحب
حزيناً
معلقاً
إلى الأبد
كيد طفل مشنوق
يلوح للعصر الذي لا قلب له
. . .
ستسقط كل دموع الحب السالف في كفن القصيدة
التي أطرزها باسمين غريبين، سوريين
أسماء السوريين ليست غريبة
أيها الحب، عمّدها بما تبقى في ليلك من أسماء الحب
يا ليل،
قل للعتمة أن تكون وديعة،
يا ليلُ !

حب في بداية الحرب

1

بلّلني صوتك كعصفورة في ليلة العيد
كنتَ المطرَ

2

قبلتُكَ أشعلتْ شمعة
كانت أنا

3

أنتَ حريتي
بكَ أحلّق
بجناحين من نور

4

أنت شجرتي

أنا الينبوع

وسر الماء

5

أنتَ ليلي

بكَ أصير نجمة

6

أنتَ قناعي

بكَ أتجمّل

7

الموسيقى تندلع في دمي فيما صوتك غارق في الأرض

فيما قلبي يتدفق من شطآن وجدك

. . .

. . .

أنت جسدي الذي اكتمل في سابع سماء

أنتَ ما تبقى من وهجي في الطين

أحببتكَ في بداية الحرب

فقدتُك ولم تنته الحرب

أيتها الحرب، كفى حرباً .

وليس الذي بين وبينك حرب

هذه السكينة فائضة على حاجتي. هذا الليل يختصر بأصابعي وهي تلملم ما تناثر من أوراق تحتضن عالماً يخصني. أنت أيضاً من خصوصياتي لأنك عبرتَ دائرة أنا رسمتها وأدخلتكَ إليها. تركتُ زاوية على محيطها مفتوحة كي يدخل الهواء ويخرج ما يشاء ومن يشاء دون أن يكسر سكينة الليل وإيقاع امرأة تجلس بكامل حريتها عالية في آخر العالم.

هذه دائرة ناقصة، ضلع مكسور، جسد من جسد، كلمة من حبر، صورة من نار، تفاحة من رماد. ليل من آلهة تعرف طريقها إلى البيت وتعرف كيف تخرج من دوائره.

الحب حرية

أحبّ حريتي

أحبكَ. أتمنى لو أنني أحبك أكثر أو أقل

وبطريقة أخرى

أحبك حراً

أحبني حرة منكَ

من ثعالبك الكثيرة، من صمتك الخالي من الحكمة، من عثرات خطواتك فوق محبرتي وعلى أهدابها، من حزنك السميك كقماشة من الجوخ الرمادي المحبوك لمعطف فضفاض.

هذا إيقاع لا يصلح لهذا المساء. دعني أحدثك عن المدخل إلى البيت: في المدخل حذاء شتوي أسود طويل. في قلبه فرو ناعم. نظيف ومعقم وعليه آثار الملح. الملح الذي كان في الشارع كي يذيب الثلج الذي تراكم بيننا.

ليس حنوناً هذا الذوبان ولكن دع الحذاء وشأنه. إنّه يشبه كلباً نائماً بلا ذنب ولا يعوي.

معبر آخر:

حين العودة إلى بيت أنتَ لستَ فيه ستجد أقراطاً كثيرة وساعات يد متنوعة الأحجام والثمن. لكل قرط سيرة ولك ساعة ذاكرة. جهة

الدوران واحدة. ستجد ساعات متوقفة لم أتخلص منها لأنها ذاكرة جامدة.

لن تجد ساعات جدارية. وقد لا تجد جدراناً أربعة. ستجد كومة من الحجارة التي رُسم عليها بخط البوم أشكالٌ وكلمات شعرية. لكل حجرة ذاكرة. لا تخف، لن أستخدم الحجارة إلا على سبيل السرد المتداعي.

سأدعك تختار واحدة تكتب لك عليها أقصر قصيدة حب في زمن الحرب.

وستجد الكثير من الأحذية الشتوية والصيفية، ستجد الكتب والأوراق الناقصة.

ستجدني

سأبتسمُ لمجرد أنك وجدت مكاناً تضع فيه حذاءك الجديد

لاشك أنك اشتريت حذاء لزيارتي

أنا أيضاً اشتريت حذاء لمجيئك الثاني

سآخذك إلى الجنة وسيكون طريقنا غريباً

سنعود حفاة

عراة

كما خلقنا من كهف المرأة الأولى

سنموت قليلاً ثم نحدّق في سكون الليل وأنفاسنا المتقاطعة

سأحدثك عن الأسماك الحمراء التي لا تموت من البرد في الشتاء ولا تهاجر

وعن زنابق الماء التي لا تتفتح إلا في الربيع وأوائل الصيف

سأحدثك عن بحة صوتك حين يغطس في النعاس ويقاوم النوم

لن تنصت. ستفكر في سرك، وماذا بعد.

لا شيء لا بعد، لا شيء!

ستبدأ الحديث عن آخر أخبار الحرب. أنت تحب أن تفسر الحرب التي نكرهها وسأمتنع عن الحديث عنها. سأشغل عينيَّ ويديَّ بزنبقة الماء العائمة على أوراق خضراء.

هذا معبر آخر لا ينفع مقدمة لسرد الساعة الضائعة–بين قارتين وتوقيت ربيعي وشتوي.

أسمعُ طقطقة وأعرف أن الماء تبخر من الإبريق الذي وضعته على النار كي أقدم لك شراباً ساخناً لأنك مصاب بالزرقة والبرد.

جفّ الماء وذبل قلب الوقت

وأنا أسمع نقرات أصابعي على باب الليل

ورأسكَ على صدر امرأة لا أعرف كيف وجدت طريقها إلى هنا .

هذه سيرة ليست مناسبة للدخول في حرب بيني وبينك .

أيام باللون الأزرق

عند المغيب أغسل قدميّ من ألوانكَ الكثيرة كي أكمل الطريق الصاعد إلى الجبل .

أغمسهما بماء الورد وزيت البنفسج والماء نصف ساعة فيحلّ الأسى كماشته عن ساقيَّ المولعتين بالرقص .

تنكسر أشعة المغيب المعدنية المتوهجة بين وجهي ووجهك المعلقين في سماء الرغبة وتغطس في وجوه وشطآن نائية .

تتجمد وأصابعي في محيط أمنية تلفح روحك وعينيك . أتنشلُ عن ساقيَّ غابة من الأحلام الوعرة وأتخفف من حمولات ميتة . يحررني لحن يستيقظ داخلاً وأمضي بعيداً كي أراكَ في ضوء آخر .

أقلّم الأظافر وأطليها بالأزرق فيما يداك المذهولتان بالضوء تنكسران كمجذافين قبل أن تصلا إلى شطآن جسد محتشد بالماء وبالأسماك .

أنت تقول: أحبّ أصابع قدميك سيدتي ولكن لماذا التلوين بالزرقة ؟

تقول: حين وقعت عيني على أصابعك المنهمكة بالبحر أصبتُ
بالسحر . كانت بيننا يدٌ مترعة بالشِعر وشال أخضر مرمي على شجرة
الليمون وتلك الصنوبرات
لم نكن قد تبادلنا ما يكفي من الأصابع كي نحدد جهة الغرق والدوران
كانت الأسماك في رأسي تدغدغ الأطراف وتقرصها بغنج .
أنت تقول إنك تحب الأظافر المصبوغة بالأحمر . أذهب إلى أدراج الخزانة
المصنوعة من شجرة جوز عتيقة لأجد الكثير من تدرجات حلمك
والغياب الذي له لون الشفق ورائحة تحفر لوعة في رحم الأرض .
كان الوقت مشققاً مثل علبة المانيكير المدلوقة على أطراف الحرش
عيناك ترشحان شهوة زرقاء وجمرات
تسكبها فوق أقدام العابرات في محطات العمر،
وجائعاً إلى أصابعي تعود لتقتات على وهجها سمكة أخيرة تتقاسمها
على مائدة الكون
جائع أنتَ . وأنا أيضاً
لا تأكل أصابعي كلها

وكيف لامرأة حين تصبح كفها بلا أصابع أن ترفع موجة من روحها الخمرية
لتغسل عنها وعنك كل هذا اليباب !

لا تكن ذخيرة الحرب

رأسكَ الذي خرج من الحرب معك،

لماذا يحمل كل هذه الكلمات العنقودية ويكاد ينفجر ؟

. . .

يدكَ وساقك التي ذهبت معكَ إلى المنفى،

لماذا صارت بوصلة للخراب ؟

عينكَ التي شهدت فصلاً من الحرب

لماذا حمراء على الدوام

وكأن الحرب فيك على أشدّها

وترشّ بها المشاة ومن في الفضاء ؟

. . .

فمكَ الذي عرفني يوماً وقبلني بالسلام الذي في لغات العالم،

لماذا صار عشاً للعناكب ؟

. . .

صوتكَ الذي غنى لنا ولهم، بين منعطفين من حرب

كيف صار وكراً للكراهية ؟

. . .

ما على الحرب، السلام

عليك–

زهرة الحلم الآتي

التي تذبل رعباً أمام القذائف

وتكره العناكب والحرب التي في رأسك وفمك ويدك وعينيك

وسريرك

. . .

اغتسلْ يا قلب من لوثة الموت

تعمّد بالحبّ

قل للحرب لسنا رسلكِ

وفي أحشاء الغد لنا أطفال، لنا أطفال

. . .

لا تكن ذخيرة الحرب

كن طفلاً لامرأةٍ

كن حباً

لامرأةٍ أكلت الحرب أطفالها

كن عاشقاً

طوبى لعشاق الحياة

قمح وجوع

القمح لا يسمع صوت القذائف في البلاد

يطرح قمحاً كريماً

لا يفكر القمح فيمن يسرقه

أو يخبزه ويطعمه للجياع

القطن لا يسمع صوت القذائف في البلاد

يهيم كالغيم على وجه الأرض

لا يفكر القطن في دين الإنسان الذي يضع رأسه عليه حين يصير مخدّة

القطن مهموم بالبياض

القمح مهموم بالذهب

. . .

أنتَ القمح والقطن يا حبّ

الأرض منهوبة تحت عرشكَ

العشاق جياع

وعلى قلوبهم يقتاتون

. . .

لا تضع قطناً في أذنيك، أيها الغد

لا تشرب البحر

أترع الكأس بالنور

استيقظي الآن أيتها الحياة !

جسدٌ وحيد . ألف رغيف

الشعر خبزي اليومي

أما الحب،

رغيف وجهي الذي يأكله النمل

. . .

أعجنُ الشعر بالحب والوهم

وعلى تنور جسدي أخبز الكلمات

تفوح رائحة أمي وأمك

رائحتي ورائحتك

رائحة الحياة

. . .

يأخذني وجه امرأة تعرف سيرة الجمر الأحمر والأزرق والرماد

ترش وجه التنور الجمري الأملس بالماء،

يحرقنا هذا الوهج

أقول: لماذا ؟

تقول: بعض الماء يمنع عجينة الرغيف من السقوط

. . .

ماء ينكسب على أطراف الحياة لتنضج

فلماذا كل هذا الجوع يا أمّ ؟ !

. . .

الجائعون،

حول تنور قلبي قافلة

ألف رغيف جسدي الوحيد

وأنا خريطة الجوع إليك

. . .

أمّي – الحياة .

إلامَ هذه الحرب ستأكل كبد الحياة ؟ !

الأشجار لا تذهب إلى الحرب

الأشجار تصبح قلماً لكنها لا تصبح سيفاً . الأشجار تصبح مقعداً رحباً للعابرين، لا تصبح دبابة . الأشجار تصبح كتاباً، لكنها لا تصبح صاروخاً

ارحموا الأشجار

الأشجار تدمع، الأشجار تشيخ . الأشجار تنوء بحملها ولا تورثه لأولادها الشجيرات . الأشجار ليست يتيمة، وليست تميمة، ليست ساحرة وعليها نعلق ما تبقى من سيرة الخصب . الأشجار تنتصب وترانا حين نغادر البيت، نرحل غصباً عنا ، وحين نموت على غفلة، وحين نُقتل على عجلة . الأشجار شاهدة وتحفظ سيرة الحرب . سيرتنا نحن البلهاء الذين لا نعطي ظلاً بلا مقابل ولا حضناً دون وعد بجنة و دولارات . نحن المدججون بالنظريات الخبيثة والمثالية، المدججون بالعبارات الملائكية والأحكام مسبقة الصنع

. . .

حديقة أمي لا تذهب إلى الحرب

حديقة أمي لا تنام، وحين نستيقظ في الصباح تستعير منا قطرة ماء لتغسل النهار من الدم العالق على أطراف ثوبه.

حديقة أمي تنظف ثوبها من غبار الحرب

أكبر جريمة بحق الشجرة، أن يربط إنسان إلى جذعها كي يموت

الأشجار لا قائد لها، لا حزب ولا طائفة

الأشجار لا تردد تحية العلم، لا تحفظ سطراً واحداً من كتب الديانات كلها، ولا تقاتل أحداً. الأشجار سلطة جمالية.

الأشجار تكتفي بالأسماء التي نطلقها عليها، وتكتفي بثمارها التي لا تحتفظ بها لنفسها. الأشجار تنكمش على نفسها حين نهرب من الخوف ومن الحزن ومن الحرب.

تبقى الأشجار حين نعود، ترفرف بأغصانها ولا تطير من الفرح

لا تسألنا عن الجنسية التي نحملها حين نعود.

حديقة الدار لا تذهب من الحرب. أشجارها لا تهرب وتتركنا وحدنا.

تحاول الثمر، وتحاول الاخضرار وتعدنا بالأكسجين. تنقي الأجواء من رائحة الموت وتفسخ الجثث. أزهارها لا تتأخر عن العطر. حديقتنا تعرف رائحة الموت، وتصبح بيتاً للعصافير، وتأذن لنا بأن نعلق أحلامنا أرجوحة فوق جذعها

حديقة الدار ترتجف

من الخوف والرعب ولكنها توحي لنا بغير ذلك، توهمنا بأنها ترقص مع الريح طرباً، ومع النسيم تتمايل لنعلق عليها بقية الأمل. الأشجار تهبنا ظلها، ولا تشتكي من الوقوف طويلاً. أشجار بيتنا لا تصاب بالروماتيزم مع التقدم في العمر، ولا تصاب بارتفاع ضغط الدم، ولا تأخذ مسكنات لقتل الألم. الأشجار تصدر أصواتاً وهمساً ونحن الجهلة بأسرار الغابات والحياة لا نفهم ما تقول. هي الأشجار تعرف كم نحن فقراء حين نقف قبالتها حفاة من الأمل ومن الظلال، عراة من الربيع ومن الحب. الأشجار في حديقتنا تعطي ظهرها مسنداً للقاتل والمقتول.

الأشجار السورية تبكي يا أمي

الأشجار تعرف طفولتنا وكم تبولنا بجوارها، وكم سرقنا من أغصانها،

وكم سرقنا من ثمار

تعرفنا عراة

وتستر على نواقصنا

تواظب الجذور انغماسها عميقاً في قلب الأرض

قالت الأرض للشجرة السورية: كم أنت ابنتي !

أجابت أشجار الكون قاطبه: يا أمنا الأرض، سلاماً سلاماً

نبذة عن الأديبة السورية الكندية جاكلين سلام

جاكلين سلام، شاعرة، وكاتبة، ومترجمة، وصحافية سورية – كندية .

جاكلين سلام اسم القلم لـ جاكلين حنّا ، مواليد المالكية– سوريا .

حازت جوائز في الشعر والكتابة الإبداعية من قبل مراكز ثقافية واجتماعية عربية وكندية .

تم تدريس نصوصها في شعبة الأدب المقارن، جامعة محمد الخامس في المغرب .

تقيم في كندا منذ عام 1997 وتعمل في حقل الترجمة الفورية والتحريرية، وفي الصحافة .

عضوة في عدد من الاتحادات وجمعيات الكتاب الكنديين، وكتّاب المنفى .

ترجمت إلى العربية قصائد ونصوصاً للعديد من الشعراء الكنديين،

ولسكان كندا الأوائل "الهنود الحمر" وقصائد من الأدب الأفريقي–الأمريكي.

نشر لها الكثير من المقالات النقدية والصحافية وكتابات متفرقة في الأدب والفن والمجتمع في العديد من المجلات نذكر منها (مجلة دبي، آداب أجنبية، بانيبال، أدب وفن. . . " ففي الصحف العربية المرموقة في العالم العربي ومنها: الجزيرة نت، الحياة، الشرق الأوسط اللندنية، السفير اللبنانية والمستقبل. . . وفي الصحافة المهجرية.

راسلت العديد من الإذاعات العربية الدولية، وقدمت إضاءات على جوانب ثقافية وكتب صادرة حديثاً في المهجر العربي وكندا، نذكر منها: إذاعة مونت كارلو الدولية، بي بي سي–العربية، ومنابر أخرى.

قرأت قصائدها بالعربية والإنجليزية في مهرجانات وأمسيات عديدة في كندا والخارج.

أسهمت في دعم وتنشيط الحضور الثقافي والاجتماعي والفني العربي في المهجر الكندي من خلال الحلقات الأدبية والأمسيات الثقافية والشعرية ومن خلال الشبكة الافتراضية.

أجرت حوارات مع كتاب عرب وعالميين. كما أُجرِيَ معها الكثير من الحوارات حول تجربتها الشعرية والثقافية والاجتماعية نشرت جميعها في الصحافة العربية الورقية والإلكترونية منذ نهاية التسعينات وحتى الآن.

صدر لها عدد من المجموعات الشعرية نذكر منها: المجبرة أنثى، رقصٌ مشتبهٌ به، كريستال، خريف يذرف أوراق التوت.

لها قيد الإنجاز مخطوطات: قصص قصيرة، ترجمات من الإنجليزية إلى العربية، وكتابات سردية.

الفهرس

إهداء: 3

الفصل الأول 7

جسد وحيد على حافة الخمسين 7

من أجل حبٍّ في الخمسين 9

دليل الهجرة 13

دليل الغيمة 16

دليل العودة 18

دليل الفقد 23

أجمل العشاق الذين لا يعودون 26

قبّليني ولا تتركي أثراً 30

خبزٌ وجسد 32

صبح الجسدينِ 36

مدارات الجسد 38

قناعُ الجسد 40

الفصل الثاني 41

المنفى ونهاية العالم 41

ضحكاتٌ وكراسيّ 43

عالمٌ ينتهي في ضوء شمعة 46

عندما ينتهي العالم 49

كما أحلامي أنتَ 52

الموتُ أميٌّ لا يقرأ القصيدة 54

تعالَ بنصف كأسكَ الفارغ 57

امرأة غارقة في الوهم 59

العينُ الثالثة 62

الفصل الثالث 65

فصول الأنثى الثانية 65

امرأة على الحافة 66

امرأة النور 70

فصل العشق 72

مملكة الحلم 77

امرأة كحلية 81

أنتِ امرأة حزينة 83

الملح والجسد 86

حديقة كونية 91

معابر 93

وداعك الأخير 95
نحن والهنود الحمر 100
وجهي الذي كان في البدء..... 101
الأشجار لا تنظر إلى الخلف 104
جسد على حافة منفى 106
ترياق وحب..... 109
ليلة وألف خيبة..... 111
نكهة المنفى 113
جدران الغريبة 115
هذا مساء غير صالح للحبّ يا فالانتاين 116
الفصل الرابع..... 120
أمي- الحياة 120
حياة تكره الحرب 121
رغيف الحياة 123
القصيدة يوم الأحد 125
عن الحب في ليلة باردة 128
سوريان على الحافة..... 130
حب في بداية الحرب 133
وليس الذي بين وبينك حرب 137

أيام باللون الأزرق 142
لا تكن ذخيرة الحرب..... 145
قمح وجوع..... 148
جسدٌ وحيد. ألف رغيف 150
الأشجار لا تذهب إلى الحرب..... 152
نبذة عن الأديبة السورية الكندية جاكلين سلام..... 156